

البيريسترويكَا

من منظور إسلامي

تأليف وإعداد

فتحي يكن ومنى حدّاد

PERESTROIKA

From an Islamic point of view

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية
تأسست عام ٢٠٠٦

الإهداء

إلى الأخوة العاملين الذين يعيشون هم الإسلام حيثما ارتحلوا
وأقاموا..

إلى الذين يقومون بواجب الدعوة إلى الله في بلاد الإغتراب وفي
المجتمعات غير الإسلامية..

إلى الذين يقدمون الإسلام لغير المسلمين بلسان حائهم قبل لسان
مقالتهم، وبأفعالهم قبل أقوالهم.

ثمّ إلى الأخوة العاملين في مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية،
الذين كان لهم فضل العون والمساعدة في رصد الأحداث وإطلاعنا عليها،
ونخص منهم مدير المؤسسة والعاملين في قسم الأرشفة.

إلى كل هؤلاء وغيرهم نهدى هذا الكتاب.

المؤلفان

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله على نعمة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين..

لم تكن البيريسترويكيا . في الحقيقة . طرْحاً " غورباتشوفياً" وإنما كانت الطرح الأكثر وضوحاً وصراحةً من قبل غورباتشوف.. ومن يتتبع المسيرة التطبيقية للفكر الشيوعي منذ الثورة عام ١٩١٨ وحتى يومنا هذا يلاحظ ظاهرة النقض و الإبرام في توجهات و مقررات و طروحات المؤتمرات المتعاقبة للقيادة المركزية للحزب الشيوعي، كما يلاحظ وجود مساحة نسبية من البيريسترويكيا كانت تتسع وتضيق، ولكنها لا تختفي ، وذلك على مدار العهود التي تعاقب على الحكم فيها قادة الحزب الشيوعي في الكرملين..

إن للبيريسترويكيا عندنا . كإسلاميين . معنى يتجاوز كل المعاني التي تناولتها . سلباً أم إيجاباً . معنى يتصل أساساً بمفهوم الماركسية للكون و الإنسان و الحياة .. يتصل بالفكر الشيوعي كفكر وضعي.. يتصل بخلفية الفكر الشيوعي .. خلفية صانعيه و المستفيدين منه .. يتصل بالدور الذي أداه على صعيد العالم العربي و الإسلامي .. و على صعيد قضايا العالم العربي والإسلامي .. على صعيد الثقافة كما على صعيد السياسة .. و على صعيد الإقتصاد كما على صعيد الأخلاق ، كما على صعيد الإعلام..

إن ما يسمى (بيرسترويكيا) . أي إعادة البناء . التي طرحها
غورباتشوف اليوم ، والتي يرقب العالم أحداثها وتفاعلاتها ومفرداتها
تعني إلينا كإسلاميين . الكثير . مما سنحاول عرضه وإستكشافه في هذا
الكتاب بعون الله تعالى، وبالله المستعان، و عليه التكلان. ﴿.. وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ
الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ {الحج:٥٤} صدق الله العظيم، وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم ..

المؤلفان

كتب في لارنكا . قبرص . ١ محرم ١٤١١ . ٢٣ تموز ١٩٩٠ م .



الفصل الأول

في تعريف البيريسترويكا

البيريسترويكا تعني لغة: إعادة البناء، وهي كلمة روسية.

أما المعنى الإصطلاحي للكلمة فواسع ومتعدد من ذلك:

أنها تعني (القضاء الحازم على عملية الركود) وتعني (خلق أولية مضمونة وفاعلة لتسريع التطور الإقتصادي . الإجتماعي، ومنحه قدرًا أكبر من الديناميكية).

وتعني (الإعتماد على الإبداع الحي للجماهير) وتعني (التطوير المتعدد الإتجاهات للديمقراطية والإدارة الذاتية للإشتركية) وتعني (تصميم روح المبادرة وتعزيز النظام والإنضباط، وتوسيع (الغلاسنوست) والنقد الذاتي في جميع مجالات حياة المجتمع) وتعني (الإحترام الرفيع لقيم الفرد وعزته)..

إنّ البيريسترويكا هي تكثيف الإقتصاد السوفياتي في شتى الإتجاهات، وبعث مبادئ المركزية الديمقراطية وتنميتها في إدارتها الإقتصاد الوطني، واعتماد واسع لطرائق الإدارة الإقتصادية، ورفض الإئتمار والتسيير المكتبي في الإدارة.

إنّ البيريسترويكا تعني الإنعطاف الحازم نحو العلم، واتقان إرساء أي بداية جديدة على قاعدة علمية راسخة..

إنّها تعني وحدة منجزات الثورة العلمية، والتقنية والإقتصاد
المبرمج...

إنّ البيريسترويكّا هي تطوير أولوي للمجال الحيوي، موجه نحو تلبية
أكمل لحاجات المواطنين السوفيات، إلى شروط جيدة في العمل والعيش
والراحة والتعليم والخدمات الطبية.

إنّ البيريسترويكّا تعني: تخليص المجتمع بحيوية من تشويه الخلفية
الإشتراكية، وتطبيقاً متسقاً لمبادئ العدالة الإجتماعية في الواقع. إنّها
وحدة القول والفعل، وحدة الحقوق والواجبات. إنّها تقرير للعمل المخلص
في النوعية الجيدة، والقضاء على النزاعات "المساواتية" في تحديد الأجور،
كما تعني أيضاً القضاء على النزاعات الإستهلاكية.

البيريسترويكّا تعني الثورة:

والبيريسترويكّا تعني لدى غورباتشوف الثورة، حيث أنّها تؤدي
إلى (تحطيم كل ما ركذ وانقضى زمنه، وأضحى عاملاً كابحاً للحركة
السريعة نحو الأمام) فمن دون هذا التحطيم (لن يكون بالإمكان إعداد
الأرض التي سيقوم عليها البناء الجديد.. وهكذا، فالبيريسترويكّا تعني
تكسيراً حازماً حاداً لكل معوقات التطور الإقتصادي - الإجتماعي،
ولمجمّل النظم القديمة في إدارة الإقتصاد، والنمطيات الدغمائية في
التفكير)..

وغورباتشوف حين يقرر أنّ البيريسترويكّا تعني الثورة، فإنّه يستند
بذكاء إلى قولة لينين إبان الثورة البلشفية: (ليس هناك في التاريخ
ثورات يمكن -بعد انتصارها- أن توضع في الجيوب، وأن تنام على
أكاليل الغار)...¹

¹ راجع كتاب: البيريسترويكّا، لميخائيل غورباتشوف

الفصل الثاني

لماذا البيريس-ترويكاف؟

- لماذا غورباتشوف؟
- لماذا الانقلاب على الشيوعية؟
- إرهابات ما قبل غورباتشوف
- عهد أندروبوف
- عهد تشيرنينكو

فتحي يكتفينا

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكتفينا الفكرية الإنسانية

الفصل الثاني

لماذا البيريسترويكا؟

عندما طرح غورباتشوف (البيريسترويكا)، فكمحاولة أخيرة لاستنفاد الفكر الشيوعي والنظام المنبثق عنه من السقوط والإنهيار، أو كما يحلو للبعض أن يقول: كطعنة نجلاء توجه إلى صميم الفلسفة الماركسية والحركة الشيوعية!!

أما لماذا غورباتشوف بالذات هو الذي أقدم على ذلك، فقضية كثر حولها الجدل واختلفت التفسيرات والتكهنات..

- فمن قائل إنّه . أي غورباتشوف . ليس إلاّ طبخة أميركية معدّة منذ زمن للقيام بهذه المهمة ولعب هذا الدور..

- ومن قائل: إنّ شخصيته المرنة، وفكره الموضوعي، ونظرته الواقعية هي التي رشحته لهذه المغامرة الصعبة.

- ومن قائل: إنّ الإستخبارات السوفياتية (KGB) هي التي صنعت غورباتشوف وهيأته لهذا الدور. فعن كتاب عنوانه (خفايا العمل الجاسوسي وراء الستار الحديدي) نشرت مجلة (الدولية) في عددها التاسع والعشرين الصادر في ٢٧/١٠/١٩٩٧ ما يلي:

❖ أوليغ غورديفسكي عضو المخابرات السوفياتية إنتقل إلى الغرب عام ١٩٨٥ ويكشف اليوم، في كتاب، خفايا العمل الجاسوسي وراء الستار الحديدي.

" تاريخ المخابرات السوفياتية من الداخل " ليس عنوان فيلم سينمائي ولا عنوان قصة خيالية، بل إسم كتاب يثير منذ صدوره في بريطانيا منذ بضعة أيام جدلاً واهتماماً كبيرين. السبب الرئيسي للإهتمام الذي يثيره الكتاب هو أن المؤلف أوليغ غوردبيفسكي، كان عضواً في المخابرات السوفيتية برتبة كولونيل و إنتقل إلى الغرب سنة ١٩٨٥. و خلال المؤتمر الصحفي الذي عقد في لندن لتقديم الكتاب الواقع في ٧٠٠ صفحة، ظهر الكاتب ملثماً وقال: إن كتابه يتضمن معلومات عديدة وقيمة عن المخابرات السوفياتية من لينين حتى غورباتشوف.

ويؤكد الكتاب الذي يستند إلى وثائق تمكن الكاتب من الإطلاع عليها خلال فترة عمله في المخابرات السوفيتية طوال مدة ٢٣ سنة ، أن (KGB) أوصل ميخائيل غورباتشوف إلى السلطة ومازال يدعمه، ولكنه في الوقت نفسه يتمتع بتنظيم فعال ويعارض الديمقراطية الجديدة في الإتحاد السوفيتي. وبالرغم من التناقض الظاهري الموجود بين إيصال غورباتشوف إلى السلطة و معارضة أفكاره السياسية والإصلاحية، فإن الكاتب يدعي إلقاء الأضواء على مراحل عديدة من تاريخ العلاقات الدولية منذ ١٩١٧. فهو يؤكد مثلاً أن المسؤولين السوفيات أصابهم خوف شديد منذ ١٩٨١، إذ كانوا متأكدين من أن الغرب سيشن على الإتحاد السوفياتي هجوماً نووياً مفاجئاً. ويقول أن القادة السوفيات، من بريجنيف حتى أندروبوف جندوا المخابرات السوفياتية بحثاً عن أية معلومات حول هذا الهجوم النووي الذي لم يحصل أبداً.

ويتضمن الكتاب أيضاً لائحة مفصلة بأسماء عملاء المخابرات السوفياتية الذين كانوا موجودين في العواصم الغربية بين ١٩٧٤ و ١٩٧٥،

كما يعطي وصفاً دقيقاً لما يسميه (الإدارة الأساسية الأولى) وهي المختصة بعمليات التجسس بالخارج، و عرضاً للأساليب التي كانت تلجأ إليها لنشر المعلومات الخاطئة في الغرب. ومما يتضمنه الكتاب أيضاً أن جهاز (KGB) حاول سنة ١٩٨٤ منع إعادة انتخاب الرئيس الأمريكي رونالد ريغان بسبب عدائه الشديد للشيوعية كما حاول الحيلولة دون إنتصار حزب المحافظين في بريطانيا سنة ١٩٨٣.

ودائماً بالإستناد إلى هذا الكتاب، فإن المخابرات السوفياتية حاولت دون جدوى التأثير في السبعينات على رئيس الوزراء السويدي أولف بالمي وحاولت إستغلال أصل والدته الليتوني، وأن المخابرات السوفياتية كانت تعتبر بالمي لدى عودته إلى السلطة سنة ١٩٨٢ بأنه حامل راية المبادئ الغربية.

كذلك فإن غورديفسكي يؤكد في كتابه أن (هاري هوبكينز) الذي كان أحد كبار مستشاري الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفيلت قدّم عن غير قصد للإتحاد السوفياتي مساعدة جمة عندما أقنع روزفيلت بالموافقة على السيطرة السوفياتية على دول البلطيق .

• وتحت عنوان (غورباتشوف مع القديسين) نشرت جريدة اللواء اللبنانية في عهدها الصادر في ٢٧/١٠/١٩٩٠ ما يلي :

(إيطاليا . كشف الستار في كنيسة القلب الأقدس في "ترني . منطقة أومبريا " على بعد ١٠٠ كلم شمال من روما عن فسيفساء مساحتها ٦٠ متراً مربعاً تحمل رسماً لميخائيل غورباتشوف بالبزة الزرقاء و لزوجته ريسا بثوب أحمر اللون إلى جانب المسيح والبابا والرسل.

وظهر الرئيس السوفيياتي وإحدى يديه على صدره والأخرى على معدته مبتسماً وهو يتبع البابا يوحنا بولس الثاني الذي يبارك الجمهور. و أوضح واضع الفسيفساء الراهب الكبوشي أوغليانو ٧٠ عاماً: إن هذه الفسيفساء التي ركزت فوق المذبح الكبير من الجدران المادية والإيديولوجية وأنهى الصراع مع الكنيسة).

لماذا غورباتشوف ؟

كان مجيء غورباتشوف إلى الحكم حدثاً قلب الموازين الدولية، ورسم على شخصيته ودوره علامات إستفهام عريضة..

- بدأ غورباتشوف عهده بخطوات مثيرة وجريئة على طريق التقارب مع الغرب عموماً ومع الولايات المتحدة الأمريكية بوجه أخص، وغدا الإتحاد السوفيياتي الصديق الحميم بعد أن كان العدو اللدود.
- لقد فتح غورباتشوف الباب على مصراعيه أمام سياسة نزع السلاح وتخفيض إنتاج الأسلحة الإستراتيجية، والأسلحة البعيدة المدى، مما سمح بتوقيع عدد من الإتفاقات بهذا الخصوص مع الولايات المتحدة الأمريكية.

- أما قراره المفاجئ بالإنسحاب من أفغانستان فكان مخرجاً ذكياً للتورط السوفيياتي في هذا البلد، واستدراجاً سريعاً ومجهضاً لتنظيمات "المجاهدين الأفغان" الذين وجدوا أنفسهم على بوابة العاصمة كابول وكأنهم من النصر قاب قوسين أو أدنى، مما أغرى بينهم العداوة والخلاف بقصد و بدون قصد.

• وكان لسياسة غورباتشوف المعلنة [عدم التدخل في الشؤون الداخلية لبلاد الكتلة الشرقية] انعكاسات على زعامته و نفوذه داخل البلاد الشيوعية وخارجها .. و لهذا تألفت ولأول مرة في بولونيا حكومة لا يرأسها رجل شيوعي بل يرأسها رجل من نقابة "التضامن" التي ناعضت بزعامة (ليش فاليسا) السيطرة الشيوعية على البلاد.. ولقد تابعت الإنتفاضات الشعبية في دول أوروبا الشرقية عامة، بل تعدى ذلك إلى جمهورية الإتحاد السوفياتي (إستونيا، لاتوانيا، أذربيجان ، أرمينيا، إلخ..) حتى أن بعض المعلقين على أحداث المعسكر الشيوعي، والمغامرات الغورباتشوفية أكدوا أن السحر بالنتيجة سينقلب على الساحر، بمعنى أن البيريسترويكا التي أطلقها غورباتشوف ستصيبه مقتلاً ١٩ .

• فتحت عنوان عريض نشرت جريدة الديار في عددها الصادر في ١٩ تموز ١٩٩٠ الخبر التالي نقلاً عن وكالة الصحافة الفرنسية : ٤٠ ألفا هتفوا قرب الكرملين : ليسقط الحزب الشيوعي السوفياتي .

• هتف نحو ٤٠ ألف شخص ضد الحزب الشيوعي السوفياتي تحت جدار الكرملين في موسكو مساء أمس، في خلال تظاهرة معادية للشيوعية. حيث أعلن رئيس جهاز الإستخبارات السوفيتية السابق (KGB) الجنرال أوليغ كاتوغين تركه للحزب .

و ألهب نائب السوفيات الأعلى السيد ميخائيل غورباتشوف الجماهير أنه اتخذ نفس القرار بعد ٢٥ عاما من إنتسابه للحزب.

و يدعو من إتحاد الناخبين في موسكو، وهي حركة ديمقراطية في العاصمة السوفياتية. إنطلق المتظاهرون الساعة السادسة مساء تحت

المطر من حديقة غوركي حتى ميدان الفروسية بالقرب من الساحة الحمراء.

و أطلق المتظاهرون هتافات : (لتسقط أمبراطورية الفاشية الحمراء، وليسقط الحزب الشيوعي، والحزب الشيوعي في مزابل التاريخ) و صفقوا بحرارة لمختلف الخطباء، الذين نددوا بالمؤتمر الـ ٣٨ للحزب الذي اختتم أعماله يوم الجمعة الماضي. لكن الإنتقادات الموجهة إلى الرئيس ميخائيل غورباتشوف كانت نادرة.

وقال أحد الخطباء: (قيل لنا إن هذا المؤتمر سيكون تاريخيا و بالفعل قد يكون آخر مؤتمر يعقد).

وصفق المتظاهرون لدى إشارة خطيب آخر إلى رئيس روسيا الإتحادية بوريس يلتسين، وإلى رئيسي بلديتي موسكو و لينينغراد غفرييل بوبوف و أناتولي سوبتشاك الذين تركوا الحزب الشيوعي في أثناء المؤتمر.

ولوحظ أن المتظاهرين يحملون صوراً عديدة للمسؤول السابق عن الـ(KGB) كالوغين الذي ندد منذ مدة قصيرة بعدم إجراء الكثير من الإصلاحات في لجنة الدولة للأمن والذي تحول في خلال أسابيع إلى شخصية مرموقة في أوساط الإصلاحيين. ولوحظت أيضاً مشاركة الكاهن الأرثوذكسي فليب باكونين حامل لواء الدفاع عن المسجونين بسبب عقائدهم الدينية في عهد ستالين ومدير مسرح (نافاها) الفكاهي بوري ليوسوف في التظاهرة . (انتهى).

لماذا الانقلاب على الشيوعية ؟

إنه بصرف النظر عما تستثيره علاقة غورباتشوف الشخصية بالبيرسترويكا ، تبقى هذه الأخيرة نتيجة حتمية للأزمات المستفحلة والمستمرة التي عانت و تعاني منها جمهوريات الإتحاد السوفياتي و دول المنظومة الإشتراكية ، نتيجة الإخفاق والفضل و الخلل الكائن في الفكر الشيوعي و النظام المنبثق عنه ..

و في تصورنا أنه لو لم يطرح غورباتشوف البيرسترويكا لطرحتها سواه . كان غورباتشوف الحلقة الأخيرة في مسلسل المحاولات الترميمية للفكر الشيوعي .. و الحلقة الأخيرة في كل مسلسل تعتبر دائما الأهم والأكثر إثارة تشويقاً .. فهي تختصر كل الحلقات التي سبقتها ، وتحل العقدة و تجلو الغموض ، فكيف بغموض ما وراء الستار الحديدي نفسه ؟ .

إرهاصات ما قبل غورباتشوف :

بالرغم من أن كل عهد من العهود التي تعاقبت في تاريخ الحركة الشيوعية اتسم بطابع تغييري خاص، أعطى الشيوعية دلالات ومفاهيم وقيماً متعددة متناقضة بحكم رجل العهد، ومفاهيم رجل العهد، وقيم رجل العهد، مما جعل الشيوعية شيوعيات.. منها اللينينية، ومنها الماركسية، ومنها الإنجليزية، زمنها الستالينية، ومنها الماوتسية، ومنها الكاستروية والتروتسكية إلى ما لا نهاية له.. نقول: بالرغم من أن كل العهود شاركت بشكل وبأخر، وبنسبة وبأخرى، بإنضاج ما يسمى بالبيرسترويكا، إنما لا بد من الإشارة إلى عهد سبق مجيء غورباتشوف يمكن إعتباره المدخل قبل الأخير لطرحة البيرسترويكا ..

عهد أندريوف:

كان خطاب أندريوف عند توليه القيادة السوفياتية يلامس المآرق السوفياتي .. فقد دعا إلى نبذ منطق الإطراء الذاتي و التعامل القوي مع النقد الذاتي القائم على المصارحة ..

وفي معرض كلامه عن الأزمة الإقتصادية الإجتماعية التي يمر بها الإتحاد السوفياتي أشار إلى ظاهرة هبوط معدلات النمو، وركود التطور الإقتصادي، و انخفاض إنتاجية العمل، و ضعف التحديث التكنولوجي، وقصور البحث العلمي وغيره ..

و لقد رد أندريوف أسباب كل ذلك إلى :

١ - الإنحراف عن القاعدة الضرورية لإدارة الإقتصاد التي تملئها الإشتراكية و التي يتمثل جوهرها في الحرص على ممتلكات الشعب، وفي مضاعفة هذه الممتلكات.

٢ - الإخلال بمبدأ التوزيع حسب العمل، حيث يؤدي الإخلال بهذا المبدأ إلى خلق الأجواء المؤاتية لحالات الكسب غير مشروع، والتنقل من عمل لآخر والتغيب عن عمل بدون سبب، والتراخي في أداء العمل، والمتسبب في عيوب الإنتاج ..

ويعتبر (أندريوف) أن الدولة وقيادة الحزب هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن كل ما يحدث فيقول بصراحة: (إننا كنا في أحوال غير نادرة نقبل بالحلول الوسط، ولم نتمكن من تجاوز الخمول المتراكم بالسرعة الكافية).

وكان هاجس أندريوف الأهم، خلال فترة حكمه القصيرة، تطهير قمة الدولة والحزب من العناصر الفاسدة، وتحقيق الإنضباط، و تخفيف التسبب في المجتمع السوفيياتي على كل مستوياته..

عهد تشرنينكو:

بعد موت أندريوف كانت ولاية تشرنينكو الذي عاد بالإتحاد السوفيتي إلى ما قبل عهد أندريوف، حيث عاد نهج (الدغمائية) إلى مسرح الواقع السياسي من جديد..

وإن دل هذا التراجع على شيء فإنما يدل على إستمرارية تسلط النهج التقليدي داخل المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب الشيوعي.



الفصل الثالث

مشكلات المعسكر الشيوعي

كما يصفها غوربايتشوف

فتحي يكتفينا

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكتفينا الفكرية الإنسانية

القصل الثالث

مشكلات المعسكر الشيوعي كما يصفها غورباتشوف

منذ تولي غورباتشوف السلطة بدأ النهج التغييري يتخذ منحى خطيراً جداً.. فغورباتشوف لم يكتفى بما اكتفى به اندريوف من اشارات مبدئية إلى الأزمة الشيوعية، وإنما عمد إلى تشخيص الأزمة تشخيصاً دقيقاً واضحاً أصعبه على المشكلات الإجتماعية والإقتصادية والإدارية المعششة في الإتحاد السوفياتي ..

ففي معرض وصفه للجمود الحاصل في النمو الإقتصادي قال: (وفي سياق تحليلنا للوضع المهيمن على البلاد اصطدنا بالجمود الحصول في النمو الإقتصادي. فقد انخفضت وتائر النمو في الدخل القومي خلال الخطط الخمسينية الثلاث الأخيرة إلى أكثر من مرتين. وأما في بداية الثمانينات فقد هبطت تلك التوائر إلى مستوى جعلنا نلامس. في الواقع. الركود الإقتصادي. والبلد الذي تمكن في السابق من اللحاق بركب بلدان العالم المتطورة، بدأ بوضوح تام يسلم الموقع تلو الموقع. وازدادت الفجوة اتساعاً بيننا وبين البلدان لغير صالحنا، سواء من حيث فاعلية الإنتاج، أو من حيث نوعية العمل) ..

وفي معرض كلامه عن التسلط السياسي للحزب يؤكد غورباتشوف على ضرورة إغناء محتوى المركزية الديمقراطية من خلال تعديل الممارسات الإنتخابية التي كانت تجري عادة بترشيح قائمة من الحزبيين. وعلى تأكيد العلنية، وحق الهيئات الشعبية ووسائل الإعلام في

الحصول على المعلومات الضرورية عن نشاط أجهزة الدولة التنفيذية والتشريعية و السياسية.. ويقول غورباتشوف بهذا الصدد: (إن مسألة توسيع العلنية هي مسألة مبدئية بالنسبة إلينا. إنها مسألة أساسية. إذ بدون علنية لا توجد و لا يمكن أن توجد ديمقراطية)..

وفي معرض حظه و تحريضه على النقد و إبداء الرأي ولو فيما يتعلق بالحزب الحاكم يقول غورباتشوف إنه لا يجب أن توجد منظمات أو قيادات حزبية معصومة من النقد و المحاسبة، وإنه لا بد من مواصلة بتر كل ما هو راكد أو محافظ أو معرقل للتقدم)..

وفي معرض الكلام عن المهمة الأساسية للبيرستويكا يقول غورباتشوف: (أما مهمتنا في الوقت الراهن فأن تنهض بالإنسان روحياً، محترمين عالمه الداخلي، معززين مواقعه الخلفية. وإننا نسعى إلى وضع كل كمنون المجتمع الذهني وكل إمكانات الثقافة في سبيل تكوّن الفرد النشط اجتماعياً)..

وكلام غورباتشوف هذا يعتبر خروجاً كلياً على النظرة المادية للشيوعية.

مشكلات المعسكر الشيوعي: عرض تاريخي سريع :

إن المشكلات التي عصفت بالبنية الفوقية والتحتية للإتحاد السوفيياتي ودول منظومة الإشتراكية أكثر من أن تحصى و أشمل من أن تحد. و تقع المشكلات الإقتصادية في المقدمة من حيث الخطورة، وبخاصة إن أخذنا بعين الإعتبار أن النظرية الشيوعية كانت الجنة الوعودة . بحسب روادها و فلاسفتها . من جحيم الرأسمالية و الإقطاع .

و إخفاق الشيوعية . إقتصادياً . بل وتسببها بنشوء معضلات إقتصادية . وهي النظرية التي تقوم أساساً على تصحيح المسار الإقتصادي . يُعتبر ضربة قاضية للفلسفة الشيوعية جملة و تفصيلاً ..

عود إلى الوراء:

في عام ١٩٧٠ وفي معرض تقويم التجربة الشيوعية أثبتنا في كتاب ((حركات و مذاهب في ميزان الإسلام)) ما يلي :

إن نظرة عميقة فاحصة للأزمات القائمة قي دول المعسكر الشيوعي يمكن أن تكون كافية للتأكيد على أن طور الإنحدار و الإنهيار في الفلسفة قد بدأ، و إن الفكر الشيوعي يواجه مأزقاً خانقاً قد لا يخرج منه إلا و قد دكت أصوله و قواعده و لفظ نفسه الأخير..

ففي أيلول عام ١٩٦١ نشرت جريدة البرافدا الناطقة بلسان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي مشروع برنامج جديد يؤكد للمرة (الثالثة) خروج الحزب على المبادئ الأساسية للماركسية. فقد تضمن المشروع فكرة إلغاء النهج الثوري الذي تعتمد الشيوعية في هدم الكيان الرأسمالي وبناء المجتمع الشيوعي، والذي نصت عليه الفقرة التالية : (وبالتالي فإن الإنتقال من الرأسمالية إلى الإشتراكية وتحرير الطبقة العاملة من النير الرأسمالي، يمكن تحقيقها . لا بتغيرات بطيئة، ولا بإصلاحات، بل بتغيير كفي للنظام الرأسمالي فقط، أي بالثورة)..

وهذا ما جعل . بكين و موسكو . في تلك الفترة، مسرحاً لمنازعات دموية حادة، بسبب إصدار الحزب الشيوعي الصيني الذي كان يتزعمه في حينها

(ماوتسي تونغ) على تنفيذ مبدأ (الحرب الحتمية) بين الشيوعية والرأسمالية ..

وفضلاً عن جنوح التوجه الجديد عن فلك النظام الأساسي للحزب الشيوعي فقد أكد من خلال تعهده بتحقيق المجتمع الشيوعي خلال العشرين سنة المقبلة فشل الشيوعية خلال الأربعين سنة الماضية ، في خلق الأساس المادي و التكنيكي للمجتمع الشيوعي. وهذا يعني أن الشيوعية كفكرة قد فقدت القدرة على ما يسمى بالحتمية التاريخية في الانتقال من الرأسمالية إلى الإشتراكية ..

ويعود هذا العجز أساساً إلى أن الشيوعية . كنظرية وضعية . لا تقوم على أصول وقواعد عامة قادرة على إستيعاب مشاكل الحياة المتجددة كماً و نوعاً، مما عرّضها مراراً إلى التبدل و التغيير الجذريين في أصولها النهجية و الفكرية في أقل من ربع قرن ..

فمبدأ محور (الملكية الفردية) عدل عنه إلى حل وسط، وهو الإحتفاظ للدولة بالصناعات الثقيلة و التجارة الخارجية والمصارف والمشاريع العامة، وترك الصناعات الصغيرة والتجارية الوسطى للسعي الفردي ..

كذلك عدل عن مبدأ (توزيع السلع الإستهلاكية) . فبدل أن كانت القاعدة (من كل حسب قدرته و لكل حسب حاجته) أصبحت كما نص عليها الدستور السوفياتي المعدل عام ١٩٣٦ (من كل حسب قدرته، ولكل حسب ما يؤديه من عمل، ومن لا عمل له ليس له الحق أن يأكل) ثم يعود الحزب الشيوعي عام ١٩٦١ إلى طرح مشروعه الجديد والذي يقضي بالعودة إلى (مبدأ التوزيع حسب الحاجة) و هكذا دواليك !!

الفصل الرابع

عوامل سقوط الشيوعية

- العامل الأول : وضعية الفكر الشيوعي
- العامل الثاني : الدور الأميركي
- العامل الثالث : الدور الصهيوني

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فنتي يكن الفكرية الإنسانية

فصل الرابع

عوامل سقوط الشيوعية

هنالك عوامل عدة تقف وراء سقوط الشيوعية وطرح البيريسترويكا كوسيلة للإنقاذ وإعادة البناء.. فما هي هذه العوامل ؟.

العامل الأول : وضعية الفكر الشيوعي :

إن أول ما يجب أن يدركه الشيوعيون وغير الشيوعيين أن وضعية الفلسفة الشيوعية ووضعية أنظمتها ونظرياتها تقع في مقدمة الأسباب والعوامل التي أوصلتها إلى الفشل فالإنهيار..

إن عامل الوضعية في أية نظرية وفلسفة.. عامل (المحدودية) في أي منهج أو تشريع.. عامل (البشرية) في أي نظام أو قانون.. إن هذا العامل هو جرثومة فناء هذه الفلسفات والنظريات والمناهج والتشريعات والأنظمة والقوانين بدون إستثناء ..

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية

مناقشة النظرية الماركسية :

تقوم النظرية الماركسية على مبدأين أساسيين هما :

١ -المادية المنطقية.

٢ -المادية الديالكتيكية، أي على التفسير المادي للتاريخ. ولهذا سميت بالمادية التاريخية، إذ أنها تعتبر المادة أساس كل شيء في الحياة، وأن البشرية مسيرة في مختلف أطوارها بتأثير المادة فقط ..

فما هي المادية المنطقية وما هي المادية الديالكتيكية ؟:

١ -المادية المنطقية: تعني أن الحياة كلها مادة، وأنها حالة حركة دائمة وتطور مستمر. فهي بالتالي ترفض كل العوامل الغيبية التي جاءت بها الأديان معتبرة أن الفعل والتفاعل في هذه الحياة منشؤه المادة ابتداء وانتهاء ..

إن هذه النظرية المادية مرفوضة بدهاءً لاعتبار أن المادة الصماء لايمكن أن تتحول ذاتيا، وأنه لا بد لها من محول أو عامل خارجي عنها مؤثر فيها .. فكما ان الجبال و الصخور لم تتحول إلى أبنية، والمعادن المختلفة لم تصبح أجهزة آلية ومعدات ميكانيكية إلا بفعل الإنسان، كذلك فإن الحياة بكل جوانبها وأبعادها لا يمكن أن تكون انعكاساً للتفاعل المادي . ذلك أن المادة في الأصل منفعة وليست فاعلة ..

إن تقويم المادة الشيوعية المادي للكون والإنسان والحياة ولحركة الكون والإنسان والحياة، جعلها تنكر وجود الله وسائر المغيبات الأخرى، وتحذو حذو الجاهلية الأولى الذي جاء وصف أصحابها في مواضع كثيرة

من كتاب الله تعالى منها قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ..﴾ {الجاثية:٢٤} .

فالشيوعية خالفت فطرة الإنسان وسنن الكون حين أعلنت بلسان ماركس أن (لا إله والحياة مادة) وحين أكدت بلسان لينين: (أن الله فكرة خرافية إختلقها الإنسان ليبرر عجزه. وأنه ليس صحيحاً إن الله هو الذي ينظم الأكوان، وأن كل شخص يدافع عن فكرة الله إنما هو شخص جاهل وعاجز) ..

وعلى هذا تتابعت حملات الشيوعية على الدين وعلى كل ما يتصل به من معتقدات..

فصحيفة برافدا نشرت عام ١٩٥٤ مقالاً جاء فيه: (إن الإعتقاد بالله هو تراث القدامى الجهلة) وفي عام ١٩٥٨ قالت الصحيفة: (وإن واجبنا لأن نوجه حملة كفاح عقائدي صحيحة ضد الدين).

ونشرت صحيفة (باكنسكي بابوشي) عام ١٩٨٥ ما نصه: (لو كان الله موجوداً لما سمح لنا أن ننبذ الدين).

ونشرت صحيفة (العلم الأحمر) عام ١٩٥٩: (من الطبيعي أن الصراع بين الإلحاد والإيمان بالله لم ينته بعد، ولا بد من توجيه الجماهير نحو استئصال جذور الإيمان بالخرافات والجن والآلهة بصورة أعمق مما هو حتى الآن) ..

٢ -المادية وهي المبدأ الثاني الذي تقوم عليه الشيوعية، وتسمى (الديالكتيكية) أي التفسير المادي التاريخي. وتزعم هذه النظرية بأن

تاريخ البشرية ليس سوى أعمال وأحداث كملت وقامت بدوافع مادية بحتة.

يقول ماركس: (ليست الأفكار. كما يتردد ذلك أكثر الأحيان. هي التي تقود العالم، بل إن هذه الأفكار ذاتها تتعلق بالشروط الاقتصادية. ومعنى هذا أنها تتعلق بالمادة التي تفسر التاريخ في نهاية الأمر. إن الاقتصاد الذي يمثل مجموع الجهود الإنسانية في سبيل إمتلاك المادة واستخدامها، إنما يشكل البنية الأساسية للعلاقات الإنسانية، في حين أن المذاهب الفكرية ليست إلا بنية فوقية)..

إن جنوح الفلسفة الماركسي المادي وإنكارها لكل العوامل الفكرية والإعتقادية والسلوكية والروحية التي لا يمكن أن تكتمل الحياة بدونها، والتي لا يمكن أن يعيش الإنسان سويًا بغيرها، جعلت المجتمع الشيوعي مجتمعاً بلا قيم، حيث أن القيم ليست نتاج المادة. كما جعلت الإنسان الذي يعيش في هذا المجتمع كتلة من اللحم والعظام تتحرك وفق القوانين المادية المرعية، وتبعاً لأنظمة آلية صماء بكماء لا مكان فيها للمشاعر والأحاسيس الإنسانية الفطرية.

ثم إن بشرية النظرية الماركسية جعلها تفقد عنصر ديمومتها وبقائها، كما جعلها تفقد القدرة على مواجهة مشاكل الحياة والإنسان المتعددة و المتنوعة. ذلك أن الأفق البشري محدود ولا يمكن أن يتعدى مهما كان عملاقاً. حقبة معينة من الزمن. فتندم الرؤيا، كما تتلاشى وتضمحل ملكات التصور والتقدير. وهذا ما حصل فعلاً للنظرية الشيوعية وبخاصة بعد أن وُضعت موضع التطبيق، وخضعت للتفسيرات

والتأويلات الشخصية لزعماء الحركة الشيوعية، الأمر الذي جعلها تدور خلال نصف قرن في دوامة مفرعة من التجارب المتناقضة، كما أدى إلى انفراط وحدة الحركة الفكري وإلى نشوء مدارس متعددة كان آخرها مدرسة (غورباتشوف) ومقولة (البيروستروكيا).

وحين فشلت الحركة الشيوعية من تحقيق الغاية من قيامها، وغدت (الجنة الموعودة) سجناً رهيباً لا يطاق، وحياة ضنكا ملؤها البؤس والشقاء.. وغدا (السلام والعدالة) شعارات فارغة ملطخة بالدماء، شأنها شأن الشعارات الفارغة التي يرفعها الغرب الرأسمالي لإخفاء حقيقته، وتغطية جرائمه، وخداع الرأي العام العالمي.. حين ذاك إنقلب السحر على الساحر وبدأت الإنتفاضات تعم جمهوريات الإتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية وكان الجميع بانتظار هذه الساعة بفارغ الصبر، ليخرج من غياهب السجن البلشفي إلى غير رجعة..

إنها النهاية المتوقعة والمصير المحتوم الذي ينتظر كل الفلسفات والنظريات والأنظمة الوضعية .. وإنه الدليل الذي يتأكد في كل حين على عجز الإنسان و قصوره وحاجته إلى الخالق الذي قدر فهدى، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمْعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَكَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٤﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٣﴾، ويقول: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ .. {العنكبوت:٤١}..

إلا أنه بالرغم من التحولات التي أصابت جمهوريات الإتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية وبلدان حلف وارسو عموماً، وبالرغم من جنوح شعوبها إلى نبد الشيوعية كفكر اقتصادي واجتماعي، إلا أن القيادة الشيوعية الجديدة في موسكو لم تجاهر بالعداوة المطلقة لتعاليم ماركس ولينين . بل إن زعيم (البيريسترويكيا) ميخائيل غورباتشوف لا يزال ينطلق من أنه يريد تجديد الشيوعية ودفعتها إلى الأمام. يقول غورباتشوف في كتابه (بيريسترويكيا) :

(إن البيريسترويكيا هي الإعتماد على الإبداع الحي للجماهير. إنها تطوير متعدد الإتجاهات للديمقراطية وللإدارة الذاتية والإشتراكية.. إن جوهر البيريسترويكيا هو أنها توحد ما بين الإشتراكية والديمقراطية، وتبعث التصور اللينيني حول البناء الإشتراكي نظرياً وعلمياً بالكامل. ومن هنا يتراءى عمقها وروحها الثوري الفعلي وطابعها الشمولي)..

والآن.. هل إن البيريسترويكيا، كما يقول غورباتشوف، هي تجديد للشيوعية والاشتراكية، أم أنها أداة للقضاء على الشيوعية والإشتراكية التي كان الإتحاد السوفياتي يحمل لواءها فيما مضى؟.

مما لا شك فيه أن الشيوعية كنظرية و تطبيق تمر اليوم بأزمة حادة للغاية. لقد فُتح الباب على مصراعيه في الإتحاد السوفياتي ودول المنظومة الإشتراكية أمام النقد الصريح الواضح للفكر الشيوعي وللنظرية الإشتراكية عموماً. والرافضون للفكر الشيوعي وللنظرية الإشتراكية عموماً. والرافضون للفكر الشيوعي، وقد باتوا يشكلون الأكثرية في أقطارهم، راحوا يعبرون عن رفضهم هذا بشتى الوسائل..

منها الكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية، وكلها تدعوا إلى إلغاء الشيوعية. وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذه الأعمال تعتبر محظورة ويعاقب عليها القانون في الإتحاد السوفياتي.

إن الكثير من أقوال غورباتشوف تؤكد بما لا يحمل الشك فشل الشيوعية، على الأقل فشلها في الفترة الممتدة ما بين الثورة الشيوعية ومجيء غورباتشوف، فحين يقول غورباتشوف: (إننا نسير بإتجاه الاشتراكية الفضلى بالإتجاه المعاكس) فإن هذا لا يعني إلا اتهام اشتراكية لينين و ستالين وماركس، بأنها اشتراكية ليست فضلى!!

إلا أن غورباتشوف يصرّ من خلال مقولاته على أنه يسير في الإتجاه الإشتراكي الصحيح ، وأن كل التغيرات التي يطرحها متلائمة والخيار الإشتراكي، وأنها غير ملتقية بحال مع الطرائق الرأسمالية لإدارة الاقتصاد وأشكال التنظيم الإجتماعي.. من هنا قوله : (إننا نبحث في إطار الإشتراكية وحدودها لا في خارجها. إننا نقيس كل نجاحاتنا بمعايير الإشتراكية. ومن يأمل في جنوحنا عن الطريق الاشتراكية فلن يلقى سوى خيبة الأمل المريرة، فبرنامجنا: البيريسترويكا يقوم على مبدأ مزيد من الإشتراكية مزيد من الديمقراطية)..

إلا أن أقوال غورباتشوف هذه يعوزها الدليل الفعلي ولا تتفق مع ما يجري على أرض الواقع ..

- فلماذا تخلت موسكو عن الإشتراكيين في أوروبا الشرقية؟
- لماذا رفضت موسكو يدها من الأحزاب الشيوعية في العالم والتي كانت تتلقى الدعم والأموال من موسكو؟

- لماذا أغلقت مكاتب الحزب الشيوعي في أماكن متعددة والذي اعتبره المراقبون دليلاً على تفكك وانتهيار البنية التنظيمية الفوقية والتحتية للأحزاب الشيوعية في العالم؟
- بل لماذا كثير من التشريعات والقوانين والإجراءات التي تُعتمد اليوم في الدول الاشتراكية وهي تتناقض مع المبادئ الأساسية للنظرية الشيوعية جملة وتفصيلاً؟
- إنه مما لا شك فيه أن الشيوعية . كفكر وضعي . أثبتت فشلها التام النهائي الذي لا تفيد معه "بيريسسترويكا" غورباتشوف وكل الجهود القائمة لترميمها وإنعاشها وإعطائها فرصة جديدة للحياة ..
- لقد إنتهت في الحقيقة الشيوعية لأن نتائجها كانت معاكسة لمقولاتها وادعاءاتها بحتمية ازدهار المجتمعات التي تسودها وتحكمها .
- إنتهت الشيوعية لأنها تسببت بمزيد من المشكلات الإقتصادية والمعيشية فضلاً عن إخفاقها في حل المشكلات التي أدعت أنها جاءت لحلها ..
- إنتهت الشيوعية ونفضت الشعوب يدها منها بعد أن ذاقت الويلات على كل صعيد وفي كل مكان ..
- إنتهت الشيوعية لأنها كانت نظرية مغايرة للظاهرة، مخالفة لسنن الكون، متناقضة مع ما أودع الله الكون والإنسان من خصائص ومقومات، وصفات ومواصفات، ومعايير ومعادلات ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ {الفتح: ٢٣} ..

❖ ذكرت وكالة ساب فيما تنقله من أنباء عن المتغيرات في الإتحاد السوفياتي ما يلي تحت عنوان :

رجال الدين يزورون السجون

كان الإنسان في الإتحاد السوفياتي محروماً على مدى سنوات طويلة من إمكانية التقاء رجال الدين حين يكون رهين السجن .

والآن تغير الوضع فقد صدرت وثيقة خاصة يشار فيها إلى أن من حق كل محكوم عليه الطلب من الهيئات الدينية الإلتقاء برجال دين من أجل تلبية متطلباته الدينية. ولا يحق لسلطات السجن إقامة أي عقبات في طريقه .

❖ ونشرت جريدة العالم في عددها ٣٤٨ الصادر بتاريخ ١٣/٩/١٩٩٠ ما

يلي :

قانون سوفياتي ينص على حرية المعتقد

أقرّ مجلس السوفيات الأعلى للإتحاد السوفياتي قانوناً يتعلق بحرية المعتقد والتنظيمات الدينية. ويحل هذا النص محل قانون يعود لسنة ١٩٢٩ كان يفرض قيوداً كثيرة على الكنائس في الإتحاد السوفياتي. أما التشريع الجديد فيضمن لها حرية ممارسة نشاطها .

وكان الجدل حامياً في البرلمان الذي اضطرت إلى تخصيص جلستين لإقرار القانون. وبرز بشكل خاص خلاف حول إمكان إدخال تعليم ديني

إختياري إلى المدارس الرسمية. ورفضت غالبية كبرى من النواب إعطا هذا الإذن وكذلك إعطاء إذن لممارسة نشاطات دينية في الجيش..

العامل الثاني: نهاية الشيوعية والدور الأمريكي:

من الطبيعي أن تقف الولايات المتحدة الأميركية ذات النظام الرأسمالي موقف العداء من الشيوعية لأنها النظام المعادي لها. وفور إنتهاء الحرب العالمية الثانية اعتبرت الولايات المتحدة أن النظام السوفيياتي نظام معادي. وبوجود هنري ترومان على رأس السلطة في أميركا، وستالين في روسيا، جرت حرب خفية بين النظامين اللدودين دعيت وقتها بالحرب الباردة. وقد أحاط ستالين وقتها بلاده بقوانين تحد من الهجرة من الإتحاد السوفيياتي وتمنع الأجانب من زيارة روسيا إلا في أحوال غاية في الصعوبة، وسميت وقتها بالاستار الحديدي..

وكافحت الولايات المتحدة بواسطة أجهزة إعلامها القوية لتشويه سمعة الإتحاد السوفيياتي لدى الرأي العام العالمي، وصورت الشيوعية بأنها بعبق قادم للإلتهام الناس. في حين كانت الدعاية الشيوعية غائبة تاركةً للدعاية الأميركية أن تسرح وتمرح في الميدان لوحدها..

وكانت الولايات المتحدة الأميركية تطمع بتفويض النظام الشيوعي بمختلف الطرق حتى العسكرية منها، لكن امتلاك روسيا للقنبلة الذرية، وبعدها الهيدروجينية وغيرها من أسلحة الدمار الرهيبة، دفعت بالولايات المتحدة إلى التخلي عن فكرة الحرب الشاملة والإستعاضة عنها بالحرب الباردة التي استمرت طيلة فترة إنتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى منتصف الخمسينات. وبعد موت ستالين، إستعاضة

الولايات المتحدة عن خطط الحرب بمحاولة تقويض النظام من الداخل،
وشن حرب إقتصادية وإعلامية وكبح نفوذه المتنامي في المحافل الدولية.
وكان موقف الإتحاد السوفياتي الشيوعي من مسألة الدين والإيمان هي
التي فجرت الخلاف مع الفاتيكان باعتباره حامي الديانة المسيحية
الكاثوليكية في العالم. ووصفت الكنيسة البابوية الإتحاد السوفياتي بأنه
ملحد وعدو الله. والحقيقة أن الإتحاد السوفياتي لا يخفي عدوانه للدين
متمثلاً بقول لينين: (الدين أفيون الشعوب). ولهذا شاركت الكنيسة
البابوية في الحملة على الإتحاد السوفياتي، ودعت المؤمنين إلى مناهضة
الشيوعية ومحاربتها. وكان الإتحاد السوفياتي قد شل عمل الكنيسة
الشرقية في روسيا ومنع إقامة الشعائر الدينية وحارب الديانة الإسلامية
في جمهوريات الإتحاد السوفياتي الإسلامي، وأهمل المساجد ودور التعليم
الإسلامي.

وشن الفاتيكان حملة شعواء على النظام الشيوعي بمباركة أمريكية
أوروبية واصفاً الشيوعيين بالكفار الملحدون، في حين تناسى الدور
الأمريكي، ومحاولته فرض هيمنته على العالم، وإستغلال الشعوب، ودعم
الإحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، وأصدر قراره الشهير بتبرئة اليهود
من دم المسيح.

إن الكنيسة التي سكتت عن المجازر والتعديات التي تقوم بها أمريكا في
العالم وإستبعاد الشعوب وربطها إلى عجلتها الإقتصادية، وجهت كل
إهتمامها لمحاربة الشيوعية مما أفقدها مصداقيتها، بحيث استنكر
العديد من المفكرين العالميين هذا الدور البابوي المنحاز.

إن أميركا بعد الهزة العنيفة التي أصابت المعسكر الشيوعي في أوروبا أخذت تنفس الصعداء، وتعد نفسها لتلعب الدور الأول في العالم، لتسيطر عليه اقتصادياً ولتمهد لرببتها إسرائيل لتحل المكانة الأولى في قلب العالم العربي والإسلامي.

العامل الثالث: نهاية الشيوعية والدور الصهيوني:

جاء في البروتوكول الثاني من كتاب بروتوكولات حكماء صهيون مايلي وبالحرف الواحد: (إياكم أن تعتقدوا لحظة واحدة، أن ما أقول هو الكلام القليل الجدوى، فما عليكم إلا أن تتفكروا في ما صنعنا لإنجاح النظريات الدروينية والماركسية والنيتشية. أما نحن اليهود فما علينا إلا أن نرى بوضوح ما كان لتوجيهاتنا من أثر خطير التلبيس على أفهام الغويم في هذا المجال) "الغويم هم البشر من غير اليهود" ..

هذا القول في بروتوكالات حكماء صهيون يفيد، بما لا يقبل مجالا للشك، بأن الماركسية هي بنت الصهيونية وأنها قامت بفضل توجيهات الصهيونية العالمية، وليس هذا غريباً. فماركس كان يهودياً أو يتحدر من أصل يهودي، وكذلك لينين فهو أيضاً يتحدر من أصل يهودي. ومن المعروف أن اليهود هم الذين اغتالوا القيصر إسكندر الثاني في مدينة بطرسبرج في ١٣ اذار ١٨٨١. وبعد هذا الإغتيال أخذت الصهيونية تمد جذورها مستغلة وجود كيرنسكي على رأس الحكم إضافة إلى مساعده القومي (فنجاس روتنبرغ) اليهودي الصهيوني. فعمل على زعزعة النظام الجديد، وهياً الأجواء لانتقال السلطة إلى الشيوعيين في روسيا بقيادة لينين، دعماً وتمهيداً للحلم الأكبر الذي يداعب مخيلة حكماء صهيون

في إقامة دولتهم الكبرى من النيل إلى الفرات.. وعندما قامت الدولة الصهيونية في فلسطين كان النظام الشيوعي أول المعترفين بالكيان الصهيوني الجديد على أرض فلسطين المسلمة.

ولا يجب أن يغيب عن البال أن الصهيونية العالمية سارعت بعيد الإجتياح النازي لروسيا إلى حث الدول الغربية على تقديم المساعدات الإقتصادية الهامة لروسيا لتسطيع الصمود في وجه الغزو الهتلري، وانصاعت الولايات المتحدة وحليفاتها الأوروبيات للضغوط الصهيونية، وأغدقت على روسيا الشيوعية القروض والمعونات حتى استطاعت صد الهجوم ومن ثم دحر الإجتياح النازي.

فالعلاقة بين الصهيونية والشيوعية قوية وبعيدة الصلة وهي راسخة وممتينة. وإذا كانت تظهر بين الحين والآخر علاقات فتور فهذا يكون مناورة سياسية متفق عليها بين الشيوعية والصهيونية لاجتذاب التأييد والمناصرة للصهيونية.. وقد قطعت روسيا علاقاتها بإسرائيل بعيد حرب حزيران ١٩٦٧ احتجاجاً على إحتلال إسرائيل للأراضي العربية المحتلة، وصدّق العرب هذه المسرحية، لكن روسيا ظلت حريصة على عدم تزويد الدول العربية المواجهة لإسرائيل بالسلاح الضروري بحجة أن العرب غير مؤهلين تكنولوجيا لإستيعاب الأسلحة الجديدة، فظلت أميركا تصدر لإسرائيل أفضل ماتنتجه ترسانتها المسلحة، بينما يحصل العرب على السلاح القديم الذي تخرجه روسيا الشيوعية من خدمة جيوشها.

ولما إنكشفت هذه اللعبة الخبيثة، ظهر غورباتشوف إلى العلن في فكرة البيروستروكيا وفيها الإنفتاح الكامل والتخلي عن أوروبا الشرقية

حليفها في حلف وارسو وسمح . في بادرة إنسانية مزيضة . لليهود السوفيات بالهجرة إلى إسرائيل بعد أن اكتمل القضم الإسرائيلي للأراضي المحتلة، ولكن بشرط صغير خجول وهو ألا يستوطن المهاجرون الأراضي بعد عام ١٩٦٧ .

فالتعاون، إذاً ، وثيق بين الصهيونية والشيوعية، وهو ما يبرر التغيرات الحاصلة في المعسكر الشيوعي الذي يخدم أولاً وأخيراً المخطط الصهيوني العام، وهو إقامة الدولة العبرية على أرض فلسطين الإسلامية. يقول البروتوكول الثالث في كتاب بروتوكولات حكماء صهيون، والتي تكشف زيف الشعارات الشيوعية :

(قد جعلنا الدساتير تنص على الحقوق نصاً صريحاً، وهي ما يسمى بحقوق الشعب. وأما الشعب نفسه فإنه لا يباله من هذا الشيء، وهو لا يجد في هذه الحقوق إلا خيالاً وسراباً، ويوقن العامل الكادح أن لاجدوى له من تلك النصوص الفارغة والخطب الجوفاء في القاعات. إذا به يدور حول نفسه وإذا به باق على الطوى يعاني الشدائد، ولا يصيبه أي خير من الدستور ونصوصه).

هذه هي السياسات الصهيونية الماكرة، سياسة تحريك الناس بالشعارات الجوفاء الخالية من أي مضمون كالفكرة الشيوعية مثلاً التي تعد الناس بجنات النعيم، فيكدحون لبلوغ هذا الهدف السنوات الطوال، وأخيراً لا يصلون إلى شيء، وإذا بالجنة قد إستحالت سراباً..

إن الشيوعية بعد ٨٣ عاماً من قيامها لم تحمل إلى المواطنين إلا
البؤس والشقاء، فأين موعود ماركس ولينين بأن سيطرة الطبقة العاملة
سوف تحقق الرفاهية للشعب، ويُقضى على المستغلين والمحتكرين؟

الصهيونية المستفيد الأول :

يظهر من مجريات الأمور حتى الآن أن الصهيونية العالمية هي
المستفيد الأول الرئيس من هذه التطورات، وذلك للأسباب التالية:

١ - إن التغييرات الحاصلة في أوروبا الشرقية سمحت لليهود السوفيات
بالهجرة من الإتحاد السوفياتي إلى فلسطين المحتلة، وهو مطلب كانت
الصهيونية العالمية تلح دائماً للحصول عليه. وفعلاً وافق الاتحاد
السوفياتي بعد قمة مالطا التي ضمت غورباتشوف والرئيس الأمريكي
بوش على هجرة السوفيات إلى إسرائيل.

٢ - موافقة دولة المجر على جعل المحطات الجوية فيها أماكن
تجمّع للمهاجرين السوفيات إلى إسرائيل..

٣ - إعادة العلاقات الدبلوماسية بين دول أوروبا الشرقية وإسرائيل
وقيام بعض رؤساء هذه الدول بزيارة إسرائيل وقيام علاقات ثقافية
وتجارية معها.

٤ - موافقة ألمانيا الشرقية على تقديم تعويضات حرب عن المجازر
التي ارتكبتها النازية بحق اليهود خلال الحرب العالمية الثانية، وهو مطلب
كانت تلح إسرائيل في الحصول عليه لتحمل الشعب الألماني كافة

مسؤولية المخالفات التي ارتكبتها النازي، من دون الإشارة إلى الأسباب التي دفعته إلى ارتكاب هذه المجازر ..

٥ - المحاولات الجادة التي يقوم بها الإتحاد السوفياتي لإعادة العلاقات مع إسرائيل إلى ماكانت عليه قبل عام ١٩٦٧ وقد قطعت شوطا على هذا الطريق.

الشيوعية قرين الصهيونية :

إن الممعن في دراسة طبيعة وخصائص وأهداف الحركتين، الصهيونية والشيوعية، يلمس بوضوح العلاقة الوثيقة القائمة بين هاتين الحركتين، ويبدو له بجلاء القاسم المشترك بينهما على أكثر من صعيد :

◆ سيادة العالم :

النقطة الأولى من نقاط الالتقاء بين الشيوعية والصهيونية تبدو نزعة السيادة على العالم واستغلاله وتسخيرهما لمصالحهما.

فالشيوعية كشفت عن هذا الغرض منذ ظهور بيان ماركس وإنجلز المشهور في تاريخ الشيوعية. حيث يقول ماركس: (أمامكم العالم، وعليكم أن تكسبوه).

كذلك طغت فكرة السيطرة على العالم منذ زمن بعيد على العقلية اليهودية. فهم من خلال ما يعتقدون بأنهم شعب الله المختار، يخططون ويعملون على تسخير البشرية في خدمة بني إسرائيل.

جاء في البروتوكول الخامس: (إننا نقرأ في شريعة الأنبياء: أننا مختارون من الله لنحكم الأرض. وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا

العمل. وسنضع موضع الحكومات القائمة مارداً (Monstor) يسمى إدارة الحكومة العليا (Adminastration Of The Super Government) وستمتد أيديه كالمخالب الطويلة المدى، وتحت إمرته سيكون نظام يستحيل معه أن يفشل في إخضاع كل الأقطار ..

❖ نشر الإلحاد:

وكما أن الشيوعية تكفر بوجود الله وتنكر كل الغيبيات و الأفكار الدينية وتعلن بكل صراحة: (لو كان الله موجودا لما سمح أن ننبذ الدين) صحيفة بانكسي ١٧ كانون الثاني ١٩٥٨ ثم تؤكد على ذلك من خلال محطة إذاعة موسكو فتقول: (إن جميع الديانات متشابهة من حيث أنها كلها باطلة) ٣ نيسان ١٩٨٥.

كذلك الصهيونية في أهداف البعيدة تعلن: (يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان. وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار الملحدين، فلن يدخل هذا في موضوعنا، ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا، على دين موسى الذي أوكل إلينا بعقيدته الصارمة واجب (إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا) البروتوكول الرابع عشر.

❖ التوسل بالعنف:

والملاحظ كذلك أن الشيوعية تلتقي مع الصهيونية في التوسل بالعنف وإستخدام كل وسائل القوة الوحشية والقهر لإقامة سلطانتها ..

يقول ستالين: (إنكم لا تستطيعون الهرب من الكوارث كالزلازل والعواصف التي تقتل الملايين، فتقبلونها صاغرين، فكيف لا تقبلون عمليات

التصفية والتطهير التي تقوم بها السلطات الشيوعية للحفاظ على هذا المبدأ الذي سيقدم إليكم الخير).

كذلك يقول البروتوكول الصهيوني الأول: (يجب أن يكون شعارنا: كل وسائل العنف والخديعة. إن القوة المحضة هي المنتصرة في السياسة، وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة يجب أن يكون العنف هو الأساس).

ويقول البروتوكول السابع: (من أجل إستبعادنا لجميع الحكومات الأممية في أوروبا، سوف نبين قوتنا لواحدة منها، متوسلين بجرائم العنف. وذلك هو ما يقال له حكم الإرهاب. وإذا اتفقوا جميعاً ضدنا، فعندئذ سنجيبهم بالمدافع الأميركية والصينية واليابانية).

♦ التوسل بالخداع والمكر والإحتيال:

وكما أن الشيوعية تبارك كل أنواع الخداع والغش والإحتيال في سبيل تحقيق المبادئ الشيوعية، كما يعلن لينين، حيث يحض الشيوعيين على ذلك فيقول: (يجب على المناضل الشيوعي أن يتمرس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل. فالكفاح من أجل الشيوعية. يجب أن يكون مفهوماً أن الشيوعية غاية نبيلة، وإن تحقيق الغاية النبيلة يتطلب في كثير من الأحيان استخدام وسائل غير نبيلة. ولهذا فإن الشيوعية تبارك شتى الوسائل المناهضة للأخلاق مادامت هذه الوسائل تساعد على تحقيق أهدافنا الشيوعية).

كذلك تفعل الصهيونية نفس الفعلة وتذهب نفس المذهب أئلاً أخلاقي.

حيث تقول في البروتوكول الأول: (نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ومحركي الفتن فيه وجلاديه).

كل قادة الشيوعية يهود؟

نحن حين نقول ونقرر بأن الشيوعية ربيبة الصهيونية ومنشئتها وصانعتها.
فإننا لا نرجم بالغيب أو نفترض ونتوهم، إنما نقرر ذلك من خلال وقائع وأدلة
دامغة.

إنه يكفي أدلة على صهيونية الحركة الشيوعية أن معظم مؤسسيها وقادتها
هم من اليهود نذكر منهم:

في الإتحاد السوفياتي:

- ماركس.
- لينين - ربيب اليهود.
- ستالين - تزوج من يهودية.
- تروتسكس - يهودي.
- كامينيف - يهودي.
- سوكو كنلوف - يهودي.
- زينوفيف - يهودي.
- بينوف - يهودي.
- كاجانوفتش - يهودي.
- بيريا - يهودي.
- شيفرنيك - يهودي.
- كيرتشيستن - يهودي.
- جوركين - يهودي.
- مولوتوف - تزوج من يهودية.
- ديفسكي - يهودي.
- هيسنبريغ - يهودي.
- فرمين - يهودي.
- جوري - يهودي.
- لوزوفسكي - يهودي.
- كافاتانوف - يهودي.
- بيتر ليفتلكي - يهودي.

- في المجر: كان أعضاء المجلس الشيوعي فيها خمسة كلهم يهود.
 - وفي بولندا: كان أعضاء الشيوعي الأعلى أحد عشر منهم سبعة يهود.
 - وفي رومانيا : كانت تسيطر على الأمور (أنا بوكرا) اليهودية الشيوعية. وكان شاوشيسكو عميل للصهيونية في حقيقة الأمر .
 - وفي كوبا: يعتبر فيدل كاسترو صديق حميم للصهيونية. ويقول الكاتب الفرنسي (روجر بيرفت) إن كاسترو من أصل يهودي.
 - وفي العراق: كان المؤسسون الأوائل للحزب الشيوعي يهوداً، منهم ساسون دلال، ناجي شميل ، صديق يهودا ، يوسف حزقيل.
 - وفي سوريا ولبنان: كان المؤسس الأول للحزب الشيوعي اليهودي (جاكوى تاير) عام ١٩٢٤.
 - وفي مصر: كان المؤسس الأول للحزب الشيوعي اليهودي الروسي (جوزيف رونبرغ).
 - وفي فلسطين: تأسس الحزب الشيوعي على يد اليهودي (وزور شتاين).
- وهكذا يتأكد لنا بما لا يحتمل الشك أن الحركة الصهيونية هي التي أنشأت الشيوعية وحكمت بها جمهوريات الإتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية وكثيراً من دول العالم، بما فيها بعض الدول العربية، كما سخرتها لمصالحها ومآربها، وأنها حين إستهلكت هذه الورقة وإستنفدت منها أغراضها، سحبت البساط من تحتها تمهيداً لطرح بديل جديد يمكن أن يخدم مصالحها ويحقق أغراضها على مدى قرن آخر من الزمن..

الفصل الخامس

ماذا تريد الشعوب في المعسكر الشيوعي؟

لمحة سريعة عن معاناة الشعوب تحت الحكم الشيوعي.

١ - على الصعيد الأمني.

٢ - على الصعيد الإقتصادي.

٣ - على الصعيد الإجتماعي.

٤ - على الصعيد الفكري.

فتحي يميننا

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يميننا الفكرية الإنسانية

الفصل الخامس

ماذا تريد الشعوب في المعسكر الشيوعي ؟

سؤال يطرح نفسه بإلحاح من خلال (المسلسل الدراماتيكي) الذي شهدته الدول أوروبا الشرقية وبعض جمهوريات الإتحاد السوفياتي.. ماذا تريد الشعوب النائرة في هذه الدول والجمهوريات؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال لا بد من التعرف على طبيعة الحياة التي عاشتها هذه الدول والجمهوريات في ظل الأنظمة الشيوعية والإشتراكية.

فبعيداً عن المداخلات والخلفيات الدولية والساسية التي تقف وراء (البيريستروكيا) والشعارات التي أطلقها غورباتشوف، هنالك حالة شعورية كانت تعيشها الشعوب وراء الستار الحديدي ما يقارب من سبعين عاماً.

هنالك بحث عن بديل... هنالك تفتيش عن مجهول.. تارة يعبر عنه بالحرية والديمقراطية، وطوراً آخر بالكفاية والعدل، وتارة أخرى بالأمان والاطمئنان والإستقرار.. إلى ما هنالك من شعارات جميلة تدغدغ المشاعر الحبيسة والنفوس المعذبة..

إن معاناة الشعوب طيلة الحكم الشيوعي على صعيد الحياة الاقتصادية كما على صعيد الحياة الإجتماعية و الأمنية والسياسية، كانت تختزن فيها . مع الأيام . مشاعر الحقد و الرفض، وبواعث الثورة

والإنقلاب، في ظل مادية قاسية مشبعة بالقهر والعذاب والحرمان، خالية من نضحة إيمان أو ومضة أمان واطمئنان..

يقول البروتوكول الثالث من بروتوكولات حكماء صهيون حول خداع الشعوب ما يلي:

(والشعب بإرشادنا قد محا الطبقة الأرستقراطية التي كانت تدافع عنه وتحميه لمنفعتها منه، إذ أن مصالحهما مشتركة، نراه اليوم وقد أطبقت على مخنقة أيدي صغار المرابين يمتصونه إمتصاص العلق، فاسترقوه وقيدوه. إلا ما يتساقط عليه من فتات الموائد من مواسم الانتخابات العامة، لينتخب المرشح الذي يملي عليه إسمه من قبل عملائنا، والحقوق التي ينالها في بلاد الحكم الجمهوري لا تخفف من أعبائه شيئاً بل تسلبه جميع الضمانات التي تكفل له الأجور المنتظمة، وتجعله يلجأ إلى الإضرابات مع رفاقه، أو تراه محجوزاً عليه بأمر سادته.

فنأتي نحن ونظهر على المسرح مدعين حب إنقاذ العامل الفقير مما هو فيه من بلاء. فندعوه أن ينتظم في صفوف جندنا المقاتل تحت لواء الإشتراكية أو الفوضوية والشيوعية. وأما حملة هذه الألوية فمن دأبنا أن نساعدهم إتباعاً لقاعدة أخوية مزعومة وهي تضامن الإنسانية، و تلك من قواعد الماسونية عندنا).

إن ما يجري في أوروبا الشرقية ينطبق على هذا المبدأ الصهيوني البغيض، فالشعوب في تلك البلدان لم تحصد من الشيوعية ونظامها إلا المرارة والشقاء، وعندما رفعت روسيا يدها عن الزعماء الذين كانت تحميهم بقوة النار وسواعد الجنود، إندفعوا إلى الشوارع للتعبير عن

فرحتهم بالحرية لتتلقفهم زعامات جديدة ليست بأصلح من القديمة ولكنها وجوه جديدة تلقي بيانات جيدة وإن كانت كمثيالاتها، لاتسمن و لا تغني من جوع . إن الحرية والديمقراطية مقولات جوفاء في عرف الصهيونية العالمية. إنها تخطط لتعم الفاقة والبؤس العام، ولتنشر المجاعة حتى يسهل عليها الوصول إلى حلمها الشهير وهو السيطرة على العالم في ظل حكومة واحدة يهودية.

وهكذا انهارت الأنظمة الموالية للإتحاد السوفياتي وخرج الشعب إلى الشوارع معبراً عن فرحته، وسقطت العروش القوية وأشهرها عرش تشاوشيسكو حاكم رومانيا القوي، لكن الحكومة التي خلفته لم تقوَ على مجابهة الجماهير المطالبة بالحرية و الديمقراطية. وجرت الإنتخابات العامة في أكثر من بلد كان محسوباً على الشيوعية ومع ذلك لم تهدأ المظاهرات ولا المطالبة بالتغيير. والسؤال الذي يطرح نفسه، من الذي يدعو الجماهير للتظاهر؟ من هي اليد الخفية التي تحرك الجماهير ولمصلحة من؟ أسئلة كثيرة ولكن الجواب يشر دائماً إلى المخطط الرهيب الذي وضعته الصهيونية العالمية.

إن الكابوس الشيوعي قد زال، ودعوات الأُلحاد التي تنفي وجود الله والأديان قد إنهارت فماذا بقي للمواطن في البلدان الشرقية؟

إنه يفتش الآن عن ذاته عما يملأ فراغ نفسه و روحه، بعد الليل الطويل الذي عاشه في ظل حياة مادية عاتية قاسية، لم يكن للكنيسة فيها أي دور، حيث ظلت بعيدة عن الأضواء في ظل النظام الشيوعي. ولم تنفع صورة البابا الذي حاول أن يظهرها إلى الناس بأنه كاردينال بولوني،

فالفراغ الروحي عميق في قلوب الجماهير التي لا تزال تبحث عن الحقيقة.

من هنا يمكن اعتبار الأزمة التي راحت تضرب الأحزاب الشيوعية في العالم رهيبه وخطيرة. وتنبع خطورتها من فقدان ثقة الجماهير بالشيوعية. فالشيوعية كمذهب فكري وضعي استهوت الكثيرين وحملتهم على أجنحة الخيال نحو عالم أفضل تنتفي فيه الفوارق الطبقية ويعمه الرخاء ويسوده الأمن، بعد فترة عانى فيها الشعب الأمرين خلال الحكم القيصري في روسيا، حيث كانت الإقطاعية تمارس أبشع أساليب الظلم في البلاد. وقد حفلت الكتب الروسية الأدبية التي كتبها كل من تولستوي وبوشكين ومكسيم غوركي وغيرهم بوصف الظلم الذي كان الفرد الروسي يكبده في ظلم هذا النظام الجائر. وجاءت الشيوعية تحمل معها شعارات إقتصادية وإجتماعية براقه، إعتبرها الناس خشبة الخلاص، لكن النظرية ظلت دون الواقع. فالنظام الشيوعي حقق في مطلع عهده بعض المنجزات في مجال الإقتصاد والتقدم العلمي، لكن سرعان ما انحسر هذا الإندفاع، وأخذ التقدم يتباطأ ثم يتراجع، مشكلاً أزمة إقتصادية وفكرية أصابت المجتمع الروسي مقتلاً، وعاد المواطن ليعيش في ظل ديكتاروية فاشية تمارس كل صنوف الإنحراف التي عرفتھا القيصرية من قبل.

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية

لمحة سريعة من معاناة الشعوب تحت الحكم الشيوعي:

لقد عانت الشعوب التي قدر لها أن تُحكم من قبل الشيوعية في جمهوريات الإتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية الكثير الكثير من الويلات والإضطهاد مما لا يتسع المجال لحصره ويصعب الإحاطة في هذه العجالة، وللقارئ أن يعود إلى المكتبة ليجد عشرات المؤلفات التي أفاضت في هذا الشأن وحكت قصة المأساة التي عاشها الناس وراء الستار الحديدي.

وحسبنا في هذا المقام أن نورد ما يلي:

١ - المعاناة الأمنية:

وتحت عنوان كبير حمل الكلمات الآتية:

(أعمال الإرهاب والقمع والقتل والتعذيب التي يمارسها الشيوعيون ضد مخالفيهم و معارضيهم و منتقديهم و منافسيهم ، ولو كانوا ماركسيين مثلهم، و لورفاق النضال)..

كتب الأستاذ عبد الرحمن حبنكة قائلاً: (لا يتصور الفكر، ولا يتوهم الخيال، لوناً من ألوان التعذيب الهمجي والقمع والإجرامي، إلى حد الإبادة الجماعية للمجموعات البشرية، دون أية عاطفة إنسانية، مع التفنن العجيب في وسائل التعذيب إلا ويمارسه الشيوعيون بأقبح صورته، وأشد مستوياته، وأكثرهم توحشاً وهمجية. شهدت بهذا الوقائع التي لاتحصى، ودلت عليه طبيعة الشيوعية القائمة على الحقد الطبقي

والأنانية المقيتة المقترنة بإنكار وجود الخالق جل وعلا، وإنكار العدل الرباني الذي هو مظهر من مظاهر حكمة الله العليم الحكيم القدير).

وينطلق بعيد ذلك الأستاذ حينكة من مقولة د (جلاس) ليميز بين شريحتين من شرائح المجتمع السوفياتي (الشيوعيون والمسلمون) تعرضتا لأبشع صنوف القتل والتعذيب على أيدي المبشرين ب (جنة الشيوعية الثانية) مستعينا على تأكيد ذلك، بالمعلومات الموثقة المتوافرة لديه وبكتابات تناولت واقع التجربة ورصدت تقلباتها وتحركاتها..

يقول (جلاي) في كتابه (الطبقة الحديدية) وهو نائب رئيس دولة يوغوسلافيا الشيوعية (تيتو):

(لقد سبق لخروتشوف أن أقر بأن وسائل التعذيب ومنها المطارق، قد لعبت دوراً أساسياً في إنتزاع الاعتراف من الخصوم، بل إنها قادت المتهمين إلى الإقرار بجرائم لم يرتكبوها البتة، خلال حملات التطهير الرهيبة التي قادها ستالين غير أن "خروتشوف" لم يعترف بالحقيقة الكاملة حين نفى استخدام المخدرات ضد المتهمين في الوقت الذي تتجمع فيه كل الأدلة على أنها استخدمت على نطاق واسع..

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن المجرمين السياسيين ومن بينهم شيوعيون ذوو مكانة عالية يضيعون في غيبوبة طويلة شبيهة بالموت، أو يدفعون للإدلاء بإعترافات عصبية، أو يتعرضون لإنزال عقوبة الإعدام فيهم عقابا لهم على جرائمهم..

لقد فوجئ المتهمون الشيوعيون أنفسهم بادئ ذي بدء مفاجأة عنيفة، حين تعرضوا لأشرس ضروب الظلم والعنف والتعذيب البعيدة كل البعد

عن المفاهيم الأخلاقية، أو جوبهوا بالإتهامات الكاذبة التي وصموا بها من قبل زعامة الحزب، لدرجة لم يستطيعوا معها إدراك أن هذه الأساليب التي تتبعها الزعامة الشيوعية خالية من القيم الأخلاقية، وموغلة في الإنحطاط، ولم يستطيعوا أن يميزوا فسادها وبطلانها الكامل. إلا أن موقفهم المتشدد لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما وجد المتهمون أنفسهم وقد أقصوا عن مراكزهم، وأدركوا أن طبقتهم المتجسدة في الزعامة الشيوعية قد تخلت عنهم نهائياً. عندها توضحت لهم الأمور، وظهر لهم أن الزعامة الشيوعية قد كشفت القناع عن وجهها، فلم تتلأأ عن صلبهم على محارق الإجرام والخيانة، وهم الأبرياء).

إن الإستدلال المنطقي الذي يجب الخروج منه بعد الذي تقدم، هو أن المد الإرهابي المستقدم من عواصف تسلط الزعامة الشيوعية لم يصب فقط "أفراد المجتمع الشيوعي" بل تعداه وبشكل طبيعي إلى فئات أخرى، وهم المسلمون داخل التركيبة الإجتماعية.

وعلى ضوء الإستنتاج هذا، يعرض الأستاذ حنكبة المعلومات المتوافرة لديه. مستخدماً في سبيل توصيف واقع الحركيين الشيوعيين داخل نظامهم كتاب "الإرهاب الكبير" للباحث الإنكليزي "روربرت كونكوست" ومتعاطفاً مع "ريشة المقارنة" في سبيل وصفه لواقع المسلمين في هاتيك البقاع، بغية وصف العلاقة التي أرادها الشيوعيون أن تجمع بينهم وبين المسلمين قبل أن يتسبب لهم الأمر، وطبيعة المواقف التي حكمت مسار علاقتهم بعبء قيام الثورة البلشفية. لنخلص من كل ذلك إلى التأكيد على وضعية الحالة العدائية التي يكنها الشيوعيون لسواهم من أصحاب الإتجاهات الفكرية، وعلى أن الصيغ العلاقاتية المؤقتة التي يوجدونها، عنوانها المصلحة بمقدّمها السلبي القائم على خدمة طرف واحد.

١ - إحصاءات تقريبية للمنكوبين في عهد الإرهاب الستاليني:

إسناداً إلى مختلف المصادر توصل "روبرت كونكست" إلى الإحصاءات

التالية:

أ - منذ كانون الأول لعام ١٩٣٧ كانت السجون ومعسكرات العمل الإجباري تحتوي على (خمسة ملايين).

وخلال المدة من كانون الأول عام ١٩٣٧ حتى كانون الثاني عام ١٩٣٨ كان في المعتقلات قرابة (سبعة ملايين).

فالمجموع (١٢ مليون). قتل منهم ما لا يقل عن (مليون) ومات منهم في المعسكرات بسبب سوء الأحوال ما لا يقل عن مليونين ..

ب - في أواخر عام ١٩٣٨ كان في السجون قرابة (المليون) وفي معسكرات العمل قرابة (ثمانية ملايين) فالمجموع هو (تسعة ملايين).

ج - تقدر حصيلة حصاد حكم ستالين من عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٥٣ بما لا يقل عن (ثلاثة مليون) ضحية.

٢ - التصفيات في القيادات العسكرية :

أ - أعلن "مخليس" في تقريره إلى المؤتمر الثامن عشر الذي انعقد في آذار عام ١٩٣٩ أسفه لأن يكون الجيش في الإتحاد السوفياتي قد تعرض لحالات من الطرد غير الصحيحة، حصلت في المدة من عام ١٩٣٥ إلى عام ١٩٣٧ نتيجة الوشاية بدل اعتماد الحقائق والوثائق.

لكن الإعتقالات إستمرت في صفوف الجيش دون توقف، وهذا أدى إلى ضعف كفاية الجيش الروسي في الحرب الفنلندية عام ١٩٣٩ وعام ١٩٤٠.

ب - نتيجة للإرهاب الشامل شهدت روسيا في حروبها . لأول مرة . قوة كبرى من مواطنيها تنضم إلى العدو.

ج - لم يوقف "ستالين" عمليات التطهير حتى آخر سني حياته.

د - تقدر التصفيات في القيادات العسكرية بما يلي:

- (٣) مشيرين من أصل (٥).
- (١٤) قائد جيش من الفئة الأولى والثانية من أصل (١٦).
- (٨) قادة في الأسطول، وهم جميع قادة الأسطول.
- (٦٠) قائد فيلق من أصل (٦٧).
- (١٣٦) قائد فرقة من أصل (١٩٩).
- (١١) نائباً لوزير الدفاع.
- (٧٥) من أعضاء الهيئة العسكرية العليا من أصل (٨٠).
- (٣٥٠٠٠) من الضباط، وهم نصف مجموع الضباط، أعدموا أو اعتقلوا.

٣ - تساقط القياديين الحزبيين على يد " ستالين " .

أ - في المؤتمر الثامن عشر الذي انعقد في آذار سنة ١٩٣٩ ظهر تساقط (١١٠٨) مندوب كانوا اعتقلوا بتهمة ارتكاب جرائم مضادة للثورة، من أصل (١٩٦٦) مندوب كانوا قد حضروا في المؤتمر السابق له.

ب - كان أعضاء اللجنة المركزية في عام ١٩٣٩ واحداً وسبعين عضواً، ولم يبق منهم في عام ١٩٣٩ سوى ١٦ عضواً، أما الأعضاء الباقون وعددهم (٥٥) عضراً فقد تمت تصفيتهم تصفيةً جسدية.

وكان الأعضاء المرشحون (٦٨) عضواً، لم يبق منهم سوى ثمانية أعضاء فقط، أما الباقون الستون فقد تمت تصفيتهم.

وجاء في بيان سري "لخروتشوف" عام ١٩٥٦ أن (٨٩) عضواً قد أُعدموا رمياً بالرصاص، من أصل الـ(١١٥) الذين غابوا، والباقون ماتوا موتاً طبيعياً.

ج - أما المكتب السياسي فقد تساقط أعضائه ما بين عضو كامل وعضو مرشح (١٩) عنصراً من أصل (٣٣).

لقد تم إعدام (١٣) عضواً، واغتيل عضوان، و انتحر (٣) أعضاء، ومات في السجن عضو واحد.

وفيما يلي أسماء الذين سقطوا من المكتب السياسي بالتصفية التي قام بها ستالين: كيروف . كامنيف . تروتسكي . كريستينسكي . زينوفيف . بوخارين . ريكوف . تومسكي . سوكولينكوف . شوبار . كوسير . بومان . سيرتلوف . بوستيشف . إيخ . يزهورف .

٢ - المعاناة الإقتصادية

من وصف "ميلوفان دوجيلاس" أيضاً حول التحكم الإقتصادي في النظام الشيوعي اقتبس ما يلي :

- يقرر دوجيلاس أن تدخل الحكم الشيوعي في توجيه دقة الإقتصاد، ومصادرة جميع وسائل الإنتاج لم يكن ليتم فقط من باب الدعوى إلى تسريع في إنجاز عمليات التصنيع بقدر ما جاء منسجماً مع تحقيق المطامع الشخصية للطبقة الحاكمة وتوطيد قوتها الذاتية.

يقول دوجيلاس:

(إن المعارضة العنيفة لكل أشكال الملكية... لم يرفع الشيوعيون لواءهم إلا لإصرارهم وتصميمهم على الظفر بدفة السلطة السياسية والإقتصادية، وفرض أشخاصهم على المجتمع المنكوب بهم.. لكن هذا الإصرار على المعارضة العنيفة سرعان ما ينقلب إلى نقيضه إذا ما إصطدم بمصالحهم الذاتية وتوطيد نزواتهم الأنانية.

فعلى سبيل المثال: إنهم في يوغوسلافيا أنشأوا المزارع التعاونية "الكولخوزات" بإسم الماركسية والإشتراكية المعصومة عن كل زللٍ أو خطأ، لكنهم ما فتئوا، و بإسم الماركسية والإشتراكية. المنزهة كذلك. أن حلو تلك المزارع، ليتخبطوا في طريق الوسط، لا الإشتراكية والرأسمالية.. إنما الفوضوية بالذات..

ويمكن التأكيد بأن كل قطر من الأقطار الشيوعية قد مرّ بتلك التجربة.. إذ وضع الشيوعيون نصب أعينهم، وهدف أهدافهم إلغاء كل ضرب من ضروب الملكية الفردية بإستثناء ملكيتهم وحدهم)..

أما عن العامل، فيقرر دوجيلاس أن العامل في النظام الشيوعي هو أحد عوامل الإنتاج الإجتماعي، فهو إذن مملوك للطبقة الجديدة الحاكمة، مادامت هذه الطبقة قد وضعت يدها على جميع الثروة القومية وعناصر الإنتاج فيها.. يقول دوجيلاس: (ومن هذا المنظار بالذات لا تنظر الطبقة الحاكمة "البيروقراطية" الشيوعية إلى العامل إلا أنه أحد عوامل الإنتاج، وبالتالي فإن ظروف العمل وأحواله في جميع المؤسسات، لا سيما تلك الصلة ما بين الأجور والأرباح، ليست موضع إهتمام تلك "البيروقراطية" التي تعرف كيف تطحن العامل بآلة الشقاء

الكبرى، ولكن وفق نظرة "علمية" لقواعد العمل في نظرية القيمة والقيمة الزائدة.. وبذا كانت الحصيلة العملية لهذا التصرف غير الإنساني تدني الطاقة الإنتاجية الفعلية، وسير القهقري بالتقدم التقني، ورداءة الإنتاج.. عمدت الطبقة الحاكمة "البيروقراطية" إلى بذل مختلف الجوائز، وضروب المكافآت والعلاوات الإستثنائية، لاجتذاب العمال إلى الإهتمام بالعمل وتحسين نوعيته..

لكن تلك النشاطات والمهيجات أبعد من أن تؤتي أكلها إلا لأمد قصير، مادام الشيوعيون مهيمنين على جميع مرافق الحياة تصرفاً واحتكاراً.. وبشكل تزيد فيه وطأة النظام على الطبقة العاملة يوماً بعد يوم)..

ولقد اعتبر دوجيلاس: (أن الإقتصاد الشيوعي يواجه تخطيطاً وتنفيذاً لتعزيز الإستبداد المطلق للطبقة الشيوعية الحاكمة، ويتمشى وفق المصالح السياسية الحزبية، لا وفق احتياجات البلاد الإقتصادية، ولا لإسعاد الشعب ورفاهيته).

ولذلك وجدت في الدول الشيوعية صناعات حربية متقدمة وتدنت الصناعات والإنتاجات الأخرى التي تخدم حاجات الشعب الأساسية، كالغذاء، والكساء، والدواء، والمسكن، ووسائل الرفاهية، والبلاد التي كانت تصدر حاصلات زراعية وصناعية قبل الشيوعية أمست بعد الحكم الشيوعي تستورد الأنواع التي كانت بالأمس تصدرها..

كذلك اعتبر "دوجيلاس" أن الأمور التي بات يتقبلها النظام الإقتصادي في الدولة الشيوعية بعفوية وعدم استغراب: السرقات وإساءة

الأمانة. ويرى أن الدوافع الأساسية لهذه الأعمال تعود إلى طبيعة النظام الذي يجعل الممتلكات غير عائدة لأحد.

ويذكر بأنه على سبيل المثال لا الحصر اكتشفت في يوغسلافيا عام ١٩٥٤ ما يزيد على العشرين عملية سرقة، وقعت في قطاع الممتلكات الإشتراكية..

ولقد ختم الأستاذ حينئذ حديثه عن الوضع الإقتصادي بمقولة لـ "أندريه جيد" الشيوعي الفرنسي عن الشيوعية المطبقة في الإتحاد السوفياتي..

(..و حين هربت من كبار الموظفين ومضيت اختلط بالعمال تبين أن أكثرهم يعيشون في أبشع صنوف الفاقة في الوقت الذي كنت أجلس فيه إلى مائدة فاخرة كل ليلة، وأرى الخوان حافلا بانواع الأطياب والمشتهيات).

(..لم يعد اختفاء الرأسمالية من روسيا على العمال فيها بخير أو نفع، ولم يبق لهم الحرية التي كانوا لها ناشدين.. فلتدرك الطبقات الكادحة خارج الإتحاد السوفياتي هذه الحقيقة كل الادراك)..

٣- المعاناة الإجتماعية

أما الممارسة الاجتماعية فلعلها تكون الفكرة الرئيسية التي ما برح يعالجها "دوجيلاس" في كتابه، الذي يدل عنوانه: (الطبقة الجديدة) على ذلك ..

فعلى هذا الصعيد يؤكد "دوجيلاس" أن الأنظمة الشيوعية لم تستطع تحقيق أجل أهدافها ضمن هذا الإطار، والمتمثل بالقضاء على تمايز الطبقي، والذي يعتبر في نهاية المطاف سيراً ضمن عجلة التطور الحتمي.

بل إن ما حصل هو خلاف ذلك تماماً فلقد أفرزت الأنظمة الشيوعية على صعيد الممارسة الإجتماعية طبقة جديدة.. يقول "دوجيلاس" في هذا الصدد:

(إن آراء ستالين التي تتحدث عن تلاشي الدولة وضمحلها في وقت تسير فيه باتجاه النمو والتوطد، وتتوسع بشكل مستمر، وتؤدي إلى ازدياد عدد الموظفين، لهي آراء مضحكة فعلاً..

ولقد انتشرت في يوغوسلافيا نظريات مشابهة للنظريات الستالينية، إلا أنها جميعاً لم تستطع أن تردم الهوة المتسعة بين النظريات الشيوعية عن الدولة، وبين الواقع المختلف تماماً الذي تؤكد حقيقة السلطة المطلقة، و"الديكتاتورية" القائمة التي تمارسها "البيروقراطية" الحزبية من جهة ثانية..).

ويضيف دوجيلاس واصفاً هذه الطبقة:

(إن الطبقة الجديدة ذات البناء الهرمي لهي مفتوحة ومنتسعة من الفقر، إلا أنها تضيق بشدة عند القمة. فالرغبة والطموح ليسا هما الشيء الوحيد الذي يخول المرء أن يتسلق القمة. إذ الصعود إلى القمة يتطلب علاوة على الرغبة والطموح، القدرة على فهم المذاهب و تطويرها، والشدة في النضال ضد القوى المعارضة، والحزم في تصفية الخصوم، وأخيراً وليس آخراً الموهبة في توطيد الطبقة الجديدة ودعم مراكزها).

(إن الإرتقاء إلى القمة يتطلب التضحيات الجسام، و يستلزم تقديم الكثير من الضحايا في الأنظمة الشيوعية التي هي مفتوحة للجميع على حين تظل من أكثر الحركات إنغلاقاً على نفسها، وأشدّها إمعاناً في الخصوصية، وتبقى عقيدة غير متسامحة حتى بالنسبة إلى معتنقيها)..

٤ - المعاناة الفكرية

(لم يوهب العمل الفكري في الإتحاد السوفياتي الحياة) إنه العنوان الأمثل لا بل المقدمة الأنسب لعرض مقولات "دوجيلاس" في هذا الصدد. والتي استهلها بالقول: (إن الحوار الحر غير ممكن، أو يمكن السماح بإجرائه في ظل شروط معينة، وبطريقة محدودة جداً)..

(وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عما هو المقصود بعبارة الوحدة العقائدية الإلزامية للحزب، وإلى أي شيء تقود هذه الوحدة؟

إن النتائج السياسية المترتبة على الوحدة العقائدية هي خطيرة جداً، ومرد ذلك أن السلطة في أي حزب كان، لا سيما الحزب الشيوعي، تبقى مقصورة بيد القادة والمجالس العليا، وهذا ما يجعل الوحدة العقائدية كأمر مرفوض رفضاً إلزامياً في الأحزاب الشيوعية ذات التنظيم المركزي، والنظام الداخلي والعسكري، ويقود دون ريب إلى تسلط الجهاز المركزي على أفكار أعضائه..

إن فرض الآراء المعينة والإصرار على الوحدة العقائدية الإلزامية، ليسا سوى قناع تتستر وراءه الديكتاتورية الفردية، وليسا غير عنصريين منممين لها..

في ظل الحكم الشيوعي ليس مفروضاً على المرء أن يكون ماركسياً فقط بل عليه أن يتبع الخط الماركسي الذي تنتجه القيادة..) وتابع "دوجيلاس" قائلاً:

(ولا ريب في أن أشد الإضطهاد هو إرغام الناس على الكف عن التفكير كما يرغبون، أو دفعهم للحديث عن آراء وأفكار لا يؤمنون بها، ولا تمت إليهم بأية رابطة أو صلة فكرية وحياتية في ظل الإرهاب والظلم. إن اعتداءً على حرية الفكر لا يشكل اعتداءً على الحقوق السياسية والاجتماعية للفرد فحسب، بل يشكل تعدياً على الإنسان ككائن مفكر عاقل).

وفي هذا المجال يقول "برتراندرسل" الفيلسوف الوجودي:

(في الشيوعية ناحية أختلف وإياها اختلفاً سياسياً..)

فهي ليست مجرد معتقد سياسي، بل هي . بالنسبة إلى معتنيقها . دين ذو عقائد إيمانية، فحسب لينين إذ ما أراد البرهنة على صحة رأي ما، أن يستشهد . إن استطاع . بنص يسنده إلى " ماركس " أو " انجلز".



تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية

الفصل السادس

الشيوعية و الفراغ الروحي
أو الخلفية الروحية للبيرستروكيا

- الإنسان في المنظور الإسلامي
- الإنسان في المنظور الشيوعي

فتحي يكتنا

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكتنا الفكرية الإنسانية

الفصل السادس

الشيوعية والفرغ الروحي أو الخلفية الروحية للبيرستروكيا

بالرغم من ذكر كثير من الأسباب التي تكمن وراء طرح غورياتشوف للبيرستروكيا فإنه من الأجدى إفراد "الفرغ الروحي" بهذا الفصل، على إعتبار أنه يمثل من وجهة النظر الإسلامية السبب الأساس والخلفية الأهم في تداعي وسقوط الفلسفة الشيوعية وبالتالي طرح المقولة الغورياتشوفية ..

• التصور عنوان التصرف :

من الأمور القطعية أن الإنسان يصدر في كل تصرفاته وأفعاله عن تصوراته ومعتقداته التي يحملها ويؤمن بها ..

ويصعب أن تجد إنساناً من غير تصور معين للكون والإنسان والحياة .. فالإنسان الذي يؤمن بالبداهيات الكونية .. يعرف كيف خلق، ومما خلق، وأنه جبلة من طين، ونفخة من روح، وأنه سيموت، ثم يبعث يوم القيامة حيث تجزى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .. إن هذا الإنسان لا بد وأن تنسجم تصرفاته اليومية وفق تصوره ذلك ..

والإنسان الملحد الذي ينكر وجود الله، ويفكر بالبعث والنشور والجنة والنار، وينظر إلى الحياة ومن عليها، نشأتها ومآلها من خلال النظرية المادية، سيتوافق تصرفه مع هذا التصور سواء بسواء ..

حتى الضائع بين هذا وذاك، يكون تصرفه في الحياة متوافقاً مع ضياعه وشروده .. فتارة إلى هؤلاء وتارة إلى أولئك ((فكل يعمل على شاكلته. وكل ميسر لما خلق له)) مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ

عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرِيكُمُ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾ {الإسراء: ٨٤} .

• الإنسان في المنظور الإسلامي :

فالإنسان في المنظور الإسلامي كائن غير الكائنات الأخرى.. كرمه الله بالعقل والإدراك، واختصه بالرسالات النبوية، والكتب السماوية، واصطفاه لعمارة الأرض وفق منهج محدد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا كم خلفه تنزيل من حكيم حميد.

يقول الأستاذ محمد قطب في كتاب "منهج التربية الإسلامية" :
(الإسلام يؤمن من الكائن الإنساني بما تدركه الحواس، وما يقع خارج نطاق الحواس.. يؤمن بكيانه المادي المحسوس، وأنه قبضة من طين الأرض.. يؤمن بما فيه هذا الكيان المحسوس من مطالب، ويؤمن بما فيه من طاقات. ويعترف بهذا الكيان إعترافاً كاملاً لا يغض شيئاً من قيمته ولا يهدر شيئاً من طاقته.. يستجيب لحاجاته ومطالبه، فيوفر له المأكل والملبس والمسكن والجنس ونصيبه من المتاع. ويجند طاقته لتعمل في تعمير الأرض وإنشاء النظم وتشبيد الحضارات.. وفي الوقت ذاته يؤمن بالكيان الروحي للإنسان.. يؤمن بأن فيه نفخة من روح الله.. ويؤمن بما لهذا الكيان الروحي من مطالب، وما يشتمل عليه من طاقات. فيعطيه ما يطلب من عقيدة ومثل وصعود وترفع، ويجند طاقاته في إصلاح كيان النفس والمجتمع، وإقامة الحق والعدل الأزليين، بأن يصله بالله)..

إن حياة الإنسان في نطاق هذا التصور حياة متوازية متنافسة متكاملة لا تناقض فيها ولا إختلال.. كما إن التشريع والنظام الذي يقوم على أساس من هذا التصور يحفظ التوازن والإنسجام والتكامل للإنسان والمجتمع والحياة..

فلا روحية . رهبانية . مغرقة في المثاليات غير الفطرية وغير الطبيعية
﴿.. وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ..﴾ {الحديد:٢٧} ، ولا مادية
جانحة نحو الحيوانية، مسرفة في الإشباع الغرائزية ﴿..أُولَئِكَ
كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ {الأعراف:١٧٩} ، وإنما حياة
متوازنة متنافسة ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ {الرُّوم:٣٠} .

جاء تصويرها كأحسن ما يكون في قوله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ
اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ
إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ {القصص:٧٧} .

• الإنسان في المنظور الشيوعي

والإنسان في المنظور الشيوعي على عكس ذلك تماما.. فهو جزء من
هذا الكيان المادي.. إنعدمت فيه الأشواق والإشراقات، وذبلت عنده المشاعر
والأحاسيس.

فأصبح والآلة سواء بسواء . فهو كالسيارة والطائرة وقطعة الغيار
وآلة النسيج والخراطة وغيرها، لا يفضلها في شيء وقد تفضله أحيانا
بحسب المفاهيم المادية الصماء..

يقول الأستاذ محمد قطب في نفس المصدر السابق: (فحين توحى
عقيدة من العقائد أو نظام من النظم بأنه ليس ثمة روح، أو ليس ثمة إله،
وأن الواقع المادي والتنظيم الإقتصادي هو كل حياة البشرية.. حين ذلك
تكبت مؤقتا جوانب الإنسان الروحية والوجدانية والفكرية.. ولكنها لا
تبقى كذلك إلى الأبد..).
تبقى كذلك إلى الأبد..).

والحقيقة أن الإنسان في ظل المجتمع الشيوعي كان يتململ كلما سنحت له الفرصة، ويعبر عن رفضه لما يمارس عليه من مخالقات للفضة بالوسائل المتاحة. وما أقلها و أندرها . وراء الستار الحديدي، وتحت حكم بوليسي إرهابي إنعدمت فيه أدنى مساحة لحرية الكلمة والتعبير..

ولكن بالرغم من كل هذه الحواجز والقيود انطلقت صيحات وارتفعت أصوات تنكر هذا الوضع، وتستنكر هذا الجحيم، وتنمي النفس بسقوط الهيكل وتحرير الإنسان..

وبالفعل قد ظهرت في الخمسينات والستينات مؤلفات وكتابات لكاتب سوفيت وأوروبيين شرقيين تصف الحال الذي يعيشها الإنسان تحت الحكم الشيوعي. كان أبرزها (قصة الساعة الخامسة والعشرون) للروائي "كونستانتان جيورجيو". والتي حكي فيها الكاتب قصة الإنسان في المجتمع الشيوعي الذي غدا كالألة تماما طوال الأربع والعشرين ساعة، والذي يتلهف إلى الساعة الخامسة والعشرين، ساعة خروجه من هذا النفق المظلم..

وما يجري اليوم في جمهوريات الإتحاد السوفياتي ودول أوروبا الشرقية هو في الحقيقة ترجمة لتكلم الشاعر التي كتبه الإرهاب الشيوعي طوال أكثر من نصف قرن، والتي أتيح لها أن تعبر عن مكونات ذاتها فور إعلان غورباتشوف عن نهجه الجديد إلى إعادة النظر. ليس في مرتجيات الفلسفة الشيوعية والفكر الماركسي. وإنما في أصولها الفكرية والعقلية كذلك..

وكائناً ما كان أسلوب غورباتشوف في التعبير عن إلتزامه بأصول الفلسفة الماركسية، وأن يقصده ويعينه بالبيريسترويكا لا يمكن أن يشكل

خروجاً على ثوابتها ومبادئها فإن مقولاته وطروحاته من شأنها أن تصيب تلك الفلسفة في الصميم..

ونكتفي في هذا المقام بجملة قصيرة ومقتضبة ولكنها قطيعة الدلالة على التناقض الجذري في أساس التصور بين غورباتشوف: (أما مهمتنا الأهم في الوقت الراهن فأن نهض بالإنسان روحياً، محترمين عالمه الداخلي معززين مواقعه الخلفية). راجع البيريستروكيا لغورباتشوف.



• كتب جلال المشطة في جريدة الحياة ما يلي :

(بعد إنقطاع إستمر أكثر من سبعين عاماً أقيمت يومي السبت والأحد صلوات في كنيسة شفاعة العذراء في الساحة الحمراء إلى جوار قباب الكرملين حين ترفرف الأعلام السوفياتية الحمر التي منع الرئيس ميخائيل غورباتشوف التطاول عليها كما حظر " تدنيس رموز الدولة" وفي مقدمتها رموز لينين.

وشدد الرئيس في المرسوم الذي نُشر أمس الأحد، على ضرورة "تعزيز المسؤولية الجنائية والإدارية" عن كل ما يعتبر إهانة للأثار المرتبطة بتاريخ الدولة ورموزها، كالتماثيل المقامة للينين والنصب التي تمجد الثورة البلشفية، ومنع أي تطاول على شعار الدولة وعلمها ونشيدها.

وقرر تعطيل كل القرارات الصادرة عن الجمهوريات وسائر الهيئات المحلية في شأن "رفع أو نقل أو تغيير النصب التذكارية" وطلب عدم إتخاذ قرارات مماثلة مستقبلاً.

وعلى رغم تكليف الرئيس هيئات الأمن المحلية تنفيذ المرسوم إلا أن عدداً كبيراً من الجمهوريات كان أصدر قرارات تعتبر أن للتشريعات المحلية أولوية على القرارات المركزية مما سيشكل تناقضاً يصعب حله. ويذكر أن جمهوريات البلطيق وجورجيا وعدداً من مدن روسيا أزالوا فعلاً تماثيل لينين التي لا تخلو منها مساحة مركزية في أي مدينة أو بلدة سوفياتية.

ومن الواضح أن "التطاول على الرموز" والرسوم الرئاسي الأخير هما تجسيد آخر للمعركة المحتدمة بين أنصار وخصوم الثورة البلشفية الذين قرر كل منهم الإحتفال على طريقته الخاصة بذكرها الثالثة والسبعين.

من جهة أخرى، تطمح الجمهوريات القومية إلى رفع الرموز التي تشير إلى إرتباطها بموسكو وتحاول تعزيز إستقلالها بإصدار إعلانات السيادة والعودة إلى الأعلام والأناشيد الوطنية القديمة أو وضع أناشيد قومية جديدة، كما فعلت جمهورية روسيا الإتحادية أخيراً.

لكن الصراع الحقيقي، السياسي والإقتصادي والقومي، سيجري إبتداءً من اليوم في البرلمان السوفياتي الذي كان مقرراً أن يبدأ النظر في خطط الإصلاحات. لكن الرئيس غورباتشوف تمكن، على ما يبدو، من إقناع ممثلي إحدى عشرة جمهورية حضروا معه إجتماعاً مطولاً أول من أمس السبت، غاب عنه ممثلو جمهوريات البلطيق الثلاث وجورجيا، بإرجاء البت في الموضوع إلى حين إستكمال المناقشات..

وجاء بلاغ نشرته الصحف أمس الأحد أن المجتمعين إتفقوا على أن يجري إقرار الإتجاهات الأساسية للإنتقال إلى إقتصاد السوق في إطار

مجلس السوفياتي على أن تتولى هيئات السلطة في المركز والجمهوريات تحديد التفاصيل، ومن ثم ترفع وثيقة معدلة إلى البرلمان السوفياتي ولجانه لدرسها وإقرارها.

ويعني هذا علمياً إرجاء البث في الخطة الاقتصادية إلى أجل غير مسمى مما قد يضع البرلمان الروسي في موقف حرج بعدما كان أعلن أنه سيبدأ تنفيذ "برنامج الـ ٥٠٠ يوم" اعتباراً من مطلع الشهر المقبل كما أن الإجراء سيعطي الرئيس غورباتشوف فرصة إصدار المراسيم الاقتصادية في إطار الصلاحيات الإستثنائية التي منحها له البرلمان من دون خوض مناقشات برلمانية طويلة.

ويرى المراقبون أن الرئيس قد يستند إلى التوجهات العاملة الليبرالية الواردة في خطة الـ ٥٠٠ يوم بينما يعتقد في تطبيقها على الإجراءات التي نص عليها مشروع الحكومة نيكولاي ريجكوف، في محاولة لإصلاح الأوضاع الاقتصادية..

وعلى رغم إبتهاج المؤمنين بالسماح لهم للمرة الأولى منذ عام ١٩١٩ بإقامة الصلوات في كنيسة شفاعة العذراء في الساحة الحمراء فإنهم في ظل تردي الأحوال الراهنة تضرعوا إليها أن "تنقذهم من المصائب والويلات".

وظافت جموع المصلين وهم يحملون الصلبان والرايات وعلى رأسهم بطيريك موسكو وعموم روسيا "اليكسي الثاني" حول الكنيسة المعروفة باسم القديس بازل "فاسيلي" المدفون فيها والتي تعتبر من أجمل أماكن العبادة الروسية. وكانت الكنيسة "شفاعة العذراء" كما يسميها المتدينون شيدت في القرن السادس عشر في عهد القيصر "إيفان الرهيب"

وألحقت بمتحف الدولة بعد ثورة أكتوبر. وقدمت مجموعة من رجال الدين طلباً بإعادتها إلى الكنيسة، لكن السلطات لم تبت في الموضوع على رغم سماحها للمؤمنين في عيد الشفاعة وهو من أهم الأعياد لدى المسيحيين الأرثوذكس، بأن يرفعوا الصلوات لتصل أصواتهم المطالبة "بالخلاص من الويلات والمصائب" إلى أسماع النواب المجتمعين وراء جدران الكرملين. (انتهى).

• وتحت عنوان (أذربيجان: إنبعث الإسلام) صدر عن وكالة

سابا ما يلي:

سيُعاد في متحف تاريخ أذربيجان عما قريب ولأول مرة خلال السنوات الطويلة افتتاح جناح تاريخ الإسلام وانتشاره في الجمهورية. وحاول زوار المتحف عبثاً أن يجدوا بين معروضات المتحف الغنية ما يخص الإسلام الذي إعتنقه الناس في أذربيجان منذ مئات السنوات. وهذا. كما قال أحد المسؤولين المتحف أحمد حسينوف. نتيجة للنضال الدؤوب ضد الإسلام في أذربيجان خلال سنوات السلطة السوفياتية حيث تم إغلاق المساجد وخبأ الناس نسخ القرآن ومؤلفات الفقهاء المشهورين وغير ذلك من الأشياء في مخابئ سرية بالمقابر خوفاً من القمع. ونتيجة للحملة على الإسلام في أذربيجان فقد المتحف الإتصال بالناس. فلم يعودوا يأتون إلى المتحف بكتب دينية مثيرة للإهتمام ونتائج الحرفيين المعاصرين والقدماء لبيعها. ولهذا فإن المتحف يمكن أن يعرض اليوم نزرًا يسيراً فقط من الثروة التي كان يمتلكها في السابق. ولكن ماسيعرض لا بد أن يشد نظر الضيوف وخاصة غلاف للقرآن

مصنوع من الفضة وطعم بالذهب ومزين بزخارف. وقد أهدها في مطلع هذا القرن أمير بخارى إلى التاجر الثري تاغيفيف صاحب المبنى الذي يقع فيه المتحف الآن. وهناك أيضا سجاجيد فريدة للصلاة وحقيقية من خشب الجوز الهندي نقشت عليها الآيات القرآنية ومجموعة كبيرة من صحون نحاسية مزينة بالحروف العربية المزخرفة وأحزمة فضية وغيرها من نتاجات الحرفيين القدماء..

ويعلق مسلمو أذربيجان أملهم الكبير في إنبعث الإسلام بالجمهورية على قانون حرية العقيدة والمنظمات الدينية الذي أقره برلمان الإتحاد السوفياتي منذ أيام، والذي رفع جميع القيود تقريبا عن النشاط الديني، وجعل المواطنين المتدينين وغير المؤمنين متساوين في الحقوق.

وقال حسينوف: إن هذا القانون الجديد سيتيح للمتحف إقتناء الأشياء الجديدة المثيرة للإهتمام. وعلى سبيل المثال تتاح إمكانات جيدة لتنظيم التعاون مع الزملاء في بلدان الشرق بما فيها البلدان العربية الذي يمكن أن يساعدوا المتحف للحصول على أشياء ثمينة تلقي الأضواء على تاريخ الإسلام. (إنتهى).

إن هذه المظاهر وغيرها تكشف حقيقة الكبت الروحي والفرغ الديني الذي كان يعيشه الناس في ظل حكم وضعي يستند إلى فلسفة مادية ليس للمعتقدات الدينية والإشباع الروحية عندها أدنى موقع أو مكان.

إنه بصرف النظر عن سلامة النهج الذي يمارسه الخارجون اليوم من جحيم الكبت المادي كردة فعل على المعاناة التاريخية الطويلة، إنما يبقى هذا لغة من لغات الإفصاح والتعبير عن الجوع الروحية التي يعيشها الجميع. ولو أن العالم الإسلامي والساحة الإسلامية في مقدورها أن تقدم

الإسلام بلساني الحال والمقال إلى هذه الشعوب الجائعة روحياً المحبطة
نفسياً، المهذومة معنوياً، ومادياً، لتحقيق ترجمة قول الله تعالى من جديد:
﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿۱﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿۲﴾
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿۳﴾﴾ {النُّصْر}.





الفصل السابع

الإسلام ملاذ البشرية جمعاء

إن كان من كلام في هذا الفصل فإنما يتعلق بالمخرج الأكيد الذي يملك إخراج البشرية من هذا النفق المظلم الطويل.. يتعلق بالحل الذي يملك بالفعل حل مشاكل الإنسان ويريحه من معاناته المزمنة والمريرة.. لقد ركبت البشرية كل مركب، وامتطت كل مظهر، فلم تبلغ ضالتها أو تحقق منشودها على أي منها..

جربت البشرية طوال هذا القرن أن تستغني عن ربها وأن تحل مشاكلها بنفسها من غير إستهداء برسالة أو اتباع الرسول.. اصطنعت أنظمة.. ووضعت فلسفات.. إبتكرت مناهج ونظريات فماذا كانت النتيجة؟ .

الحضارة الغربية التي يعتد بها الغربيون أنتجت (المخدرات) والإيدز وأشاعت القلق بالرغم من كل الإشباعات المادية التي وفرتها للإنسان. النظرية الشيوعية بكل مناهجها ومدارسها المتعددة تسببت بجوع مريرة للإنسان في بطنه وروحه، فلا هي أشبعته حسيماً ولا هي أغنته نفسياً..

تجارب كثيرة، وعلى مدى من الزمن طويل، مرت بالإنسان، والنتيجة كانت واحدة.. النتيجة كانت مزيداً من المعاناة في شتى الميادين

ومختلف الصعد.. وكان الإنسان في النهاية هو الضحية وكان عليه في النهاية أن يتلقى نتيجة التجارب الفاشلة الواحدة بعد الأخرى ...

والإنسان الذي قُدر له أن يعيش في حقل التجربة الشيوعية كانت مصيبتة أكبر، وخسارته أفدح، وحظه أسوأ، فلا هو ظفر بالدنيا ولا هو أبقى على الدين، لقد خسر الإثنان وذلك هو الخسران المبين..

كانت الشيوعية وأربابها يمنون الناس بالجنة الدنيوية الموعودة.. بالعيش الرغيد.. والرزق الوفور، والأمن المنشور، والدر المنثور..

كانوا يحدثونهم عن العدالة الإجتماعية، وانتفاء الطبقة، وحقيقة المساواة والحرية..

وفجأة خابت الآمال، وإنهارت الأحلام، وتحجرت الكلمات وسقطت الشعارات، واستحالت الجنة جحيماً وبؤساً وشقاء ذاق الناس طعمه على مدى سبعين عاماً.

وكان لابد من الانفجار في النهاية بالرغم من كل محاولات الترميم والتحسين والتجميل.. وقامت قيامة الناس في دول أوروبا الشرقية وجمهوريات الإتحاد السوفياتي، وانطلق نزلاء السجن الشيوعي كالإعصار يحطمون في طريقهم كل شيء. إنهم يفتشون عن ذواتهم وإنسانيتهم وحريرتهم وإن كانوا حتى اللحظة لا يعرفون حقيقة ماينفعهم ويسعدهم.. تأسست عام ٢٠٠٩

والحقيقة، أن الشعوب الهاربة من الجحيم الشيوعي أمام خيار صعب.. فهي إما أن ترتقي من جديد في أحضان الرأسمالية، وتبتاعها

الحضارة الغربية، وإما أن تحقق ذاتها وتستعيد إنسانيتها وتسترد فطرتها برسالة الإسلام...

إننا لا نأتي بجديد حين نقول هنا ونقرر بأن الإسلام هو طريق الخلاص الوحيد، وهو حبل النجاة الأوحى، وهو ملاذ البشرية جمعاء، وسبيلها المضمون الأكيد إلى ماتنشد من حرية وأمن وأمان وكفاية وعدل.

إن هذه الشعوب بحاجة إلى أن تعرف شيئاً عن الإسلام. فهي تجهل الكثير عنه. وكل ماعرفته لا يعدو أن يكون صوراً مشوهة من النظريات أو التطبيقات التي لا تمت إلى الإسلام بصلة..

إن المكتبة الإسلامية تذخر بمجموعة من المؤلفات و الكتب (نذكر من هذه الكتب: الإسلام ملاذ المجتمعات البشرية، د. محمد سعيد رمضان البوطي)، جديرة بأن تترجم إلى لغات هذه الشعوب ضمن منهج دعوي رسالي يهدف إلى تقديم المنهج الإسلامي إلى البشرية التائهة كبادرة إنقاذ بكل علمية وموضوعية و تجرد..

خصائص المنهج الإسلامي:

إن الإسلام يمتاز بخصائص ذاتية هي فواصل جذرية وفوارق أصيلة بينه وبين الإتجاهات والمذاهب الحديثة..

الحاكمية لله:

فالحاكمية في المنهج الإسلامي لله.. لا لفرد ولا لحزب، ولا لشعب.

فلا ديكتاتورية لفرد.. ولا تسلط لحزب.. ولا حاكمة لشعب في
تشريع الإسلام..

والحقيقة، أن معظم المظالم الإجتماعية والإقتصادية، ومظاهر
الإستبداد السياسي منشؤها خضوع الحاكمة لتشريع زمني وضعي
ولسلطة بشرية..

فالنظام الديمقراطي يجعل الحاكمة للشعب.. ويجعله مصدر
السلطات.. منه وإليه يعود كل أمر... وبذلك يكرس التميع (الفردى)
والإنتفاخ (الشخصى) مما لا يتحقق معه هيبة في الحكم أو أمن وسلام في
المجتمع..

إن شعور الفرد في ظل النظام الديمقراطي بأنه مصدر القوانين
والتشريعات ينمّي فيه بواعث الإستهتار بالقوانين والتشريعات .. ويعطيه من
أسباب السطوة ما يجعله قادراً بنفوذه الشخصى والمادى على تسخير
السلطة لمصالحه ورغباته.. وبالتالي يمنحه حق التلاعب بالقوانين
ووضعها بما يتلاءم مع أهوائه وأغراضه.. يقول "مارتن دودج" في كتابه
(اعرف مذهبك / صفحة ١٨) في معرض حديثه عن الديمقراطية: (وفكرة
الديمقراطية تتلخص في أن يحكم الناس أنفسهم دون أن يكونوا رعايا.
ذلك أن الناس لهم المقام الأول والصدارة. ثم تليهم في المرتبة الثانية
السلطة الحاكمة. وفي ظل النظام الديمقراطي يحكم المجتمع نفسه من
أجل نفسه).

أما النظام الشيوعى، فإنه يكرس حاكمة (الحزب الواحد) للأمة
بأسرها.. وبذلك يعطي الحزب نفسه حق سن القوانين واستصدار

التشريعات بما يكفل له البقاء والسيطرة في الحكم.. وهو بذلك نظام سياسي يقبض بمقتضاه (الحزب) على زمام السلطة في بلد يخضع أفراداه عموماً لما يفرض عليهم وعلى شؤون حياتهم من إجراءات.

فالحزب الشيوعي في روسيا مثلاً، هو الحزب السياسي الوحيد والحاكم.. ومع ذلك فإنه لا يمثل الشعب الروسي، إذ يبلغ عدد أعضائه ستة ملايين فقط من أصل ١٨٠ مليوناً، وهي نسبة ضئيلة جداً..

وبهذا لا يمكن أن تكون حاكمية الحزب الواحد في أي نظام من أنظمة الحكم مصدر استقرار وعدالة ومساواة.

طالما أن الذين في أيديهم السلطة يخضعون كل شيء لمصالحهم الشخصية والحزبية..

وبين هذين الإتجاهين المتطرفين يقوم المنهج الإسلامي فوق قواعد تشريعية يخضع لها الحاكم والمحكوم على حد سواء.. وينصاع لها الكبير والصغير دونما تمايز أو تخصيص..

فالحاكمية في النظام الإسلامي ليست لشعب . كما هو الشأن في النظام (الديمقراطي). كما أنها ليست لحزب كما هو في النظام (الشيوعي) وسائر الأنظمة الاشتراكية.. وهي كذلك ليست لفرد كما في الأنظمة الديكتاتورية وإنما هي (لله) خالق الكون ومالكه. وهذا ما يقرره الدستور الإسلامي في كثير من آياته: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِنَّا لِلَّهِ..﴾ {يوسف:٦٧}، ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ..﴾ {الشورى:١٠}،

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾

{النساء: ١٠٥} .

والإسلام يحقق هذه الحاكمية الربانية عن طريق (قانون إلهي) يتضمن الأحكام التي جاء بها القرآن الكريم وفسرتها وفصلتها سنة رسول الله ﷺ ..

فالإسلام منهج متفرد في خصائصه.. لم تضع أحكامه ونظمه وتشريعاته أهواء حاكم أو مصلحة حزب.. وإنما وضعتها عدالة السماء.. فلا تمييز ولا محاباة، ولا أنانية ولا تحكم، ولا حزبية، ولا سطوة وإنما الجميع أمام شرع الله سواء..

- عدالة لا تعرف ظلماً ولا عنفاً ولا تفاضل..
- ومساواة تطبق على الجميع من غير محسوبيات أو إستثناءات.
- وحرية تشعر الإنسان بقيمته وكرامته (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا).

وهاكم بعض الشواهد من دستور الله الخالد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ {المائدة: ٨}،
﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ..﴾ {المائدة: ٤٩}، ﴿.. فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ {المائدة: ٤٨} .

وروي أن امرأة من بني مخزوم سرقت فقالت قريش: من يكلم فيها رسول الله ﷺ أي ليضع عنها الحد. فلم يجدوا إلا أسامة ابن زيد حب

رسول الله ﷺ يقوى على ذلك. فلما كلم أسامة رسول الله بذلك، قال رسول الله غضباً (أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة)، ثم قام وخاطب الناس قائلاً: ((أيها الناس إنما ضل منكم من كان قبلكم إنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)).

ومن وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص: ((إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته. فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء)) .. وفي وصيته للخليفة من بعده يقول: ((جعل الناس عندك سواء. لا تبال على من وجب الحق. ثم لا تأخذك في الله لومة لائم. وإياك والأثرة والمحابة فيما ولاك الله ..)).

الشمول لا الجزئية

ومن خصائص المنهج الإسلامي شموله و كليته.. فالإسلام ليس تصوراً (عقيدياً) فحسب.. ولا ديناً (عبادياً روحياً) وكفى.. ولا نظاماً إقتصادياً واجتماعياً وسياسياً مجرداً.. ولكنه منهج حياة.. يجمع إلى رقة (التوجيه) ودقة (التشريع) وإلى جلال (العقيدة) جمال (العبادة) وإلى إمامة (المحارب) قيادة (الحرب).

إن المنهج الإسلامي لم يكن ردة فعل لسوء أوضاع إقتصادية ليكون نظاماً إقتصادياً شأن الماركسية وسائر المذاهب الإشتراكية.. كما إنه ليس مدرسة روحانية شأن المسيحية..

إن الإسلام منهج متكامل الجوانب شامل النظرة.. فيه تنظيم علاقة الفرد بنفسه.. وعلاقته بأسرته.. بمجتمعه.. وعلاقة مجتمعه به.. وفيه

بيان لأصول والقواعد التي تقوم عليها النظم والقوانين التي تحكم سير المجتمع والناس وفق نظرة الإسلام للكون والإنسان والحياة..

يقول جيبون: (القرآن مسلّم بأنه الدستور الأساسي ليس لأصول العقيدة فحسب. بل وللأحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التي عليها مدار حياة النوع الإنساني وترتيبه وشؤونه. وبعبارة أخرى هو القانون العام للعالم الإسلامي. فهو قانون شامل للقوانين المدنية والتجارية والحربية والقضائية والجنائية).

الفطرية لا التطرف أو المثالية:

ومن خصائص المنهج الإسلامي أنه دين الفطرة.. إعترف للإنسان بحاجاته الروحية والعضوية.. وقِيَمَه تقيماً إنسانياً، مراعيّاً في ذلك نوازعه الفطرية كلها، محققاً التناسق والتوافق بينها جميعاً..

فالإسلام لم ينظر إلى الإنسان نظرة مادية مجردة لا تتعدى هيكله الجسدي ومتطلباته الغريزية شأن الشيوعية وسائر المذاهب المادية.. في الوقت الذي لم يحرمه حقوقه البدنية وحاجته البشرية..

فلم يكن الإسلام (أبيقورياً) (نسبة إلى الفلسفة التي وضعها أبيقور عام ٣٤٣ ق.م. والتي تعتبر اللذة أساس

الأخلاق. وأنها وحدها غاية الإنسان. وهي وحدها الخير)، في إطلاقه للغرائز والشهوات من غير تنظيم

و لا تكييف.. كما لم يكن (رواقياً) (نسبة إلى الفلسفة التي وضعها زينو القبرصي عام ٣٤٢ ق.م. والتي تعتبر

الشهوة شراً محضاً يجب إبادته)، في فرض المثالية الخيالية، وإعدام المتطلبات الغريزية في

الإنسان..

وفطرية الإسلام جسدت في مبادئه النظرة الواقعية وأفردته
بخصائص التوفيق والتنسيق بين المادة والروح. وهذا ما ينطق به مدلول
الآية الكريمة: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما
اكتسبت) ويقول الشهيد السيد قطب في تفسير هذه الآية: (إنها العقيدة
التي تعترف بالإنسان لحيواناً ولا ملكاً ولا شيطاناً.. تعترف به كما هو
بكل ما فيه من ضعف وكل ما فيه من قوة.. وتأخذه وحدة مؤلفة من
جسد ذي نوازع، وعقل ذي تقدير، وروح ذي شواق. وتفرض عليه من
التكاليف ما يطبق. وتراعي في التنسيق بين التكليف والطاقة بلا مشقة
ولا إعنات) (تفسير في ظلال القرآن، سيد قطب).

الاطمئنان العقيدي لا القلق الوجودي:

ومن خصائص المنهج الإسلامي أنه عرّف (الإنسان) على نفسه وسر
خلقه وسبب وجوده فحل بذلك عقدة من أخطر العقد في الحياة البشرية.
لم يترك الإسلام الإنسان في الكون وحيداً بلا عماد.. حائراً من غير
هدى.. يجابه مصيره بمفرده.. ويحدد طريقه لوحده.. ويحكم نفسه
بنفسه..

لقد أجاب الإسلام على كل الأسئلة التي طرحها الوجوديون قديماً
وحديثاً والتي أرادوا من ورائها التفلت من كل القيود والحدود ليعيشوا
أحراراً كما يزعمون.

فالإسلام لم يعتبر (الوجود) بلا غاية كما يزعم (سارتر) ولم يعتبره
وجوداً (سخيفاً) في عالم لا معقول.. ولم يعتبر أن الإنسان موجود فيه لا

أكثر ولا أقل.. لا يعرف من أين أتى.. ولا إلى أين هو ذاهب.. كذلك لم يعتبر الإنسان مسيراً بدون إرادة تسوقه الطبيعة كالحیوان..

بل إن الإسلام جعل للإنسان عقلاً يفكر به و يستفتيه، وإرادةً يتحرك بها كيفما شاء وأنى شاء.. وجعل لخلقه سبباً ولوجوده هدفاً وللحياة الإنسانية غاية.

خلق الإنسان لیبلوه فيما أتاه ويخبره فيما أعطاه أیکفر أم یشکر ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ {الإنسان: ٢: ٣}.

وطالبه يستخير نفسه وأعضائه ودفعت غرائزه وميوله في طريق الخير ضماناً لعمارة الأرض، وتحقيقاً لرسالة الإستخلاف: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ {المؤمنون: ٧٨: ٧٩} إلى قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ {المؤمنون: ١١٥: ١١٦}.

فالإنسان في الإسلام صاحب رسالة يعمل على أدائها، وله غاية يسعى للوصول إليها.. إنه يدرك أن حياته رحلة ينبغي أن يقطعها وفق الخط الإلهي الذي يضمن له السعادة في الدنيا، والنعيم الأبدي في الآخرة ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {النحل: ٩٧}.

الإنقلابية الجذرية لا الترقية:

ومن خصائص الإسلام أن منهج إنقلابي جذري.. فهو يرفض أرباع الحلول و أنصافها، ولا يستسيغ التعايش مع الجاهلية، ويأبى الترقية... ولقد صدع الإسلام في عهد النبوة كل محاولة لمساومة أصحابه وإستدراجهم لقبول بعض الحلول أو التنازل عن بعض الحق..

فهذه قريش تقترح على محمد أن يعبد آلهتها شهراً لتعبد إلهه شهراً آخر، فينزل القرآن الكريم بالموقف الحاسم من أمثال هذه المساومات فيقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَأَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ {سورة الكافرون}.

وجاء عُتْبَةُ بن ربيعة يوماً إلى رسول الله ﷺ يعرض عليه العروض السخية.. يعرض عليه الملك والمال والسلطان على أن يترك الأمر الذي جاء ويتخلى عن الإسلام لكن محمداً ﷺ إلتفت إليه مستعيناً بإيمانه معتزلاً بإسلامه قائلاً: ((ما جئكم بما جئكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم. ولكن الله بعثني إليكم رسولاً. وأنزل كتاباً. وأمرني أن أكون لكم بشيراً و نذيراً. فإن تقبلوا مني ما جئكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم)) (سيرة ابن هاشم).

الإسلام بين القابلية التطبيقية والنظرية الخيالية:

وقد يكون من نافلة الكلام أن نقول: إن البشرية لم تعرف في مدار التاريخ منهجاً واقعي الخصائص كالإسلام.. فهو المنهج الوحيد الذي

غير مجرى الحياة الإنسانية، وأحدث في المجتمع البشري انقلاباً جذرياً شاملاً قوض كل الأفكار وكل الأخلاق وكل المعتقدات الجاهلية..

فالمنهج الإسلامي تجاوز نطاق النظريات التجريدية وتجسدت مبادئه واقعياً حياتياً عاشه الناس وحفظه التاريخ ونطقت به الشواهد والأحداث..

من الشواهد التطبيقية في الإسلام:

أولاً: في نطاق العقيدة:

كان مبدأ لا إله إلا الله دفعة العقيدة في قلوب الناس، ومحرك الثورة الأصيل في نفوسهم، ورمز إنخلاعهم من ضلالات الجاهلية وأوضاعها وانصهارهم في بوتقة الدين من جديد..

وكان الجذوة المتقدة التي حررت الإنسان من عبودية الأصنام، وكرّمته من إتخاذ الناس أرباباً من دون الله، وألزمته إفراده سبحانه بالربوبية والألوهية والخضوع والحاكمية..

فلم تكن (لا إله إلا الله) شعاراً تتحرك به الألسن من غير وعي، أوتردده الشفاه بدون إدراك.. وإنما كان هاتفاً ريانياً عميقاً يحدو القلوب إلى السماء، ويشهدها نحو العلاء، فتمتلئ بقوة الله قوة.. وتحسّ وصاله طمأنينة.. وتغدو بجواره عزيزة كريمة..

بهذا الإمتلاء العقيدي والعبق الإيماني كان العربي بعد الإسلام يقف أمام طواغيت فارس والروم يدعوهم إلى الإسلام بإعتزاز، بين تعاليمه

بجراًة.. ثم يحذرهم عاقبة جحودهم وكفرانهم، ويخيرهم بين الجزية
والحرب..

ذكرت كتب التاريخ أنه قبيل معركة القادسية طلب رستم قائد
الفرس من المسلمين أن يرسلوا إليه وفوداً ورسلاً منهم، ليباحثهم
ويباحثونه، ويفاوضهم ويفاوضونه. فندب المسلمون فيمن ندبوا (المغيرة بن
شعبة) ليكون سفيرهم إلى رستم.. فلما وصل إليهم وهم على زيهم
وبسطهم (أدنى) من مجلس رستم.. جاء وجلس معه على سريره فغضب
وأمر بإنزاله عن السرير.. فالتفت المغيرة إليهم قائلاً: (إنني لم أر أسفه
منكم.. إننا معشر المسلمين لا يستعبد بعضنا بعضاً.. فظننتكم كذلك..
وكان أحسن بكم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض.. مع أنني لم آتكم،
وإنما دعوتموني.. فقد علمت أنكم مغلوبون ولن يقوم لكم ملك على هذه
السيرة).

وتكلم رستم فعظم من شأن فارس ثم قال : (كانت عيشتكم سيئة..
وكنتم تقصدوننا في الجذب فنردكم بشيء من التمر والشعير.. ولم
يحملكم على ما صنعتهم إلا ما بكم من جهد.. فنحن نعطي لأميركم
كسوة وبغلاً وألف درهم.. وكل رجل منكم حمل تمر، وتنصرفون، فلست
أشتهي قتلكم..).

فلم يكن من المغيرة إلا أن اتلفت إليه قائلاً: (أما الذي وصفنا به من
سوء الحال والضيق فنعرفه ولا ننكره.. والدنيا دول.. والشدة بعدها
رخاء.. ولو شكرتم ما أتاكم الله لكان شكركم قليلاً على ما أوتيتم.. وقد
أسلمكم الله بضعف الشكر إلى تغيير الحال.. وإن الله بعث فينا رسولاً

يدعوننا إلى كذا، فإن أبيتم فأمرٌ أهون من ذلك فهو الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة ..).

ثانياً: في نطاق العبادة:

والعبادات في الإسلام ليست طقوساً جامدة، أو مراسيم ميته لا هدف لها ولا غاية.. بل إن الإسلام أرادها (مدرسة) للتربية (ومصنعاً) للأخلاق والمثل.. أرادها معراجاً تسمو به النفوس وتحلق.. ومصفاة تصفو بها الأرواح وتزكو.. فالإسلام يحرص من عباداته على نتائجها وآثارها.. ويحاسب على مدى التفاعل بها فضلاً عن فرضية أدائها..

فالمدلول التطبيقي والهدف العملي لمبدأ (الصلاة) أن تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر.. وأنه لا قيمة للصلاة . عند الله . ما لم تؤد هذا الغرض فقال تعالى: ﴿..إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ {العنكبوت:٤٥}، وقال رسول الله ﷺ: ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعد)) (رواه الطبراني).. وقال: ((كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب)) (أخرجه النسائي)، وقال: ((ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها)).

والمدلول التطبيقي والهدف العملي لمبدأ (الصوم) هو ترويض النفس وسائر الأعضاء على الطاعة، وإنه لاثواب لمن صام بطنه وأفطر فرجه.. وأوصامت معدته عن الطعام وأفطرت جوارحه على البغي والفحش والفجور.. وهذا ما يؤكد الإسلام في أحاديث كثيرة للرسول ﷺ يقول فيها: ((إنما الصوم جنة، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنني صائم إنني صائم)). ويقول: ((كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع و العطش)) أخرجه النسائي.

ويقول: ((من لم يدع قول الزور والعمل به ليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)). وجاء في الخبر: (إن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار، حتى كادتا تتلفا. فبعثتا إلى رسول الله ﷺ يستأذناه في الإفطار، فأرسل إليهما قدحا وقال: ((قل لهما قيئا فيه ما أكلتما)) فقاءت إحداهما نصفه دماً عبيطاً ولحماً غريضاً.. وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأته. فعجب الناس من ذلك. فقال رسول الله ﷺ: ((هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما.. فغدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتان تغتابان الناس، فهذا مما أكلتا من لحومهم)) (أخرجه أحمد) .

وهكذا تستهدف فلسفة العبادة في الإسلام تحقيق الأثر الفعلي وحصول التحول الكيفي في حياة الناس..

ثالثاً: في نطاق التشريع:

كذلك القول في القواعد الأساسية التي يقوم عليها التشريع الإسلامي، فإنها تمتاز بقابليتها الأصيلة واستعدادها الفطري للتطبيق. فالتشريع الإسلامي ليس كسائر التشريعات المسطرة في بطون الكتب.. البعيدة عن صميم حياة الناس.. بل إن نزعته التطبيقية وخصائصه التنفيذية تجعله منهجاً ثورياً وحركياً وإنقلابياً فيه كل إمكانيات الثورة وكل متطلبات الحركة وكل حاجات الإنقلاب..

فمن الشواهد التطبيقية لمبدأ (المساواة) في الإسلام أن رسول الله ﷺ قلد أسامة بن زيد إمرة الجيش الإسلامي. وهو ابن عبد رقيق. وفي الجيش كبار الصحابة. وأن بلالاً الحبشي بلغ في الإسلام مقاماً عظيماً وشأواً

كبيراً جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا ذكره يقول: (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا) وإنه لما خرج المسلمون لفتح مصر.. رغب المقوقس في المفاوضة.. فأرسل إليهم وفداً ليعلم ما يريدون.. ثم طلب منهم أن يبعثوا إليه وفداً منهم.. فشكل عمرو بن العاص (قائد الجيش آنذاك) وفداً قوامه عشرة من المسلمين برئاسة عبادة بن الصامت، وكان شديد السواد طويلاً..

ولما دخل الوفد على المقوقس، تقدمهم عبادة.. فأبى المقوقس أن يكلمه رجل أسود.. وقال لمن معه: نحوا عني هذا الأسود، وقدموا غيره يكلمني. فقال الوفد جميعاً: إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً. وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا.. وإنما نرجع إلى قوله ورأيه.. وقد أمره الأمير دوننا بما أمره.. وأمرنا أن لا نخالف رأيه وقوله..

فقال لهم المقوقس: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم، وإنما ينبغي أن يكون دونكم؟ قالوا: كلا، إنه وإن كان أسود كما ترى، فإنه من أفضلنا موضعاً، وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً.. وليس ينكر السواد فينا..

ومن الشواهد التطبيقية لمبدأ (العدالة): أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفرض لجميع المسلمين عطاء من بيت المال و يقول: (والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد.. وما أنا أحق به من أحد.. والله ما من المسلمين من أحد إلا وله في هذا المال نصيب.. ولكننا على منازلنا في كتاب الله تعالى.. فالرجل وبلاؤه في الإسلام.. والرجل وقدمه في الإسلام.. والرجل وحاجته.. والله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بحبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى غنمه).

وإذا كان الرسول ﷺ قد أعلن مبدأ العدالة في كلام جامع قال فيه ((لا تقدس أمة لا يقضى فيها الحق.. ولا يأخذ الضعيف حقه من القوي)). فقد أصبح القول عملاً والمبدأ واقعاً في حياة المسلمين وعلائقهم ومعاشهم. وتحقق فيهم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَكِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ {النساء: ١٣٥}.

بهذه النماذج التطبيقية كانت تتجسد مبادئ الإسلام التشريعية في حياة المسلمين.. لم تكن شعارات للإستهلاك والمتاجرة. كما إنها لم تكن نظريات ومثاليات مجردة عاجزة عن التطبيق عارية عن التصديق..

رابعاً: في نطاق الواقع:

كذلك فإن قيام المجتمع الإسلامي في عهد النبوة واستمراره زمنياً ليس بالقصير دليل حاسم على قابلية الإسلام للتطبيق.. يقول (توماس كارليل): (ماكاد الإسلام يظهر حتى احترقت فيه وثنيات العرب، وجدليات النصرانية.. وكل ما لم يكن بحق فإنه حطب جاف أكلته نار الإسلام، فذهب والنار لم تذهب.. ولقد أخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور.. وأحيا به منها أمة خاملة، وأرضاً هامدة، لا يُسمع لها صوت، ولا تحس فيها حركة منذ بدء العالم.. فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه.. ورسالة من قبله.. فإذا الخمول شهرة.. والغموض قد إستحال نباهة، والضعفة رفعة، والضعف قوة، والشرارة حريقاً وسع نوره الأنحاء، وعمّ ضوءه الأرجاء، وعقد شعاعه الشمال بالجنوب،

والمشرق بالمغرب.. وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث، حتى صار لدولة العرب
رجل في الهند، ورجل في الأندلس. وأشرقت دولة الإسلام حقبة عديدة
ودهوراً مديدة، بنور الفضل والنبيل، والمروءة والبأس، والنجدة ورونق الحق
والهدى على نصف المعمورة..).





الفصل الثامن

دور العالم الإسلامي حيال الفراغ العقائدي

المقصود بدور العالم الإسلامي هو دور الحكومات والمؤسسات الإسلامية الرسمية.. فهل هذه الحكومات والمؤسسات في مستوى القيام بهذه المسؤولية يا ترى؟..

ونحن لا نذيع سراً أو نكشف سترًا حين نقول: إن أنظمة وحكومات العالم الإسلامي بحاجة إلى من يدعوها إلى الإسلام، فأنتى لها أن تنهض بهذا الدور؟ وفاقد الشيء لا يعطيه..

- فهناك أنظمة في العالم الإسلامي تحتكم إلى غير شرع الله.

- وهناك أنظمة في العالم الإسلامي سياستها ومناهجها التعليمية غير إسلامية.

- وهناك أنظمة في العالم الإسلامي سياستها الإعلامية غير إسلامية.

- وهناك أنظمة في العالم الإسلامي قوانينها المرعية في شتى مناحي الحياة غير إسلامية..

وهذه الأنظمة فضلاً عن كونها أنظمة غير إسلامية أو مقصرة إلى حد كبير في التزامها الإسلامي، فإن الجامع الوحيد بينها . على تفرقتها وشتاتها . والقاسم المشترك والتقاطع الأوحده الذي يلتقي فيه معظمها، هو عداؤها للإسلام وكيدها لدعائه، وحربها المستمرة على حركاته

وتنظيماته. وبالتالي قيامها كأداة لتنفيذ مخططات القوى الدولية المتآمرة على الإسلام والمسلمين..

وهناك أنظمة تسيء إلى الإسلام بسوء تطبيقها للإسلام وترسم للرأي العام العالمي أبشع صورة عن الإسلام.

- فمنها أنظمة متخلفة لا تعيش عصرها ولا تسعى إلى الاستفادة من وسائل العصر، مما يجعل الإسلام ذريعة هذا التخلف في ذهن الكثيرين، أو ما يقدم لأعداء الإسلام الذريعة المطلوبة لإتهام الإسلام بالتخلف.

- ومنها أنظمة فردية جائرة لا مكان لحرية الرأي والتعبير في بلادها، فهي تمثل صورة مشوهة عن الإسلام، والإسلام منها براء..

- ومنها أنظمة استساغت العنف والتطرف، وغدت حجة على الإسلام من خلال تصرفات وممارسات لا تستند إلى دليل شرعي فضلاً عن تناقضها مع المصالح الشرعية..

هذا الواقع الذي عليه معظم أنظمة وحكومات العالم الإسلامي يؤدي إلى تعطيل دور هذه الأنظمة في حمل الدعوة الإسلامية إلى شعوب العالم وبخاصة تلك التي تبحث عن الحقيقة بعد أن تأكد لديها فشل الأنظمة الوضعية جمعاء، والتي كانت لا تزال سبب شقائها وبؤسها على مدى قرن من الزمن..

وفي اعتقادنا إن على هذه الأنظمة أن تراجع حساباتها مع نفسها، وتقوم تجاربها بكل تجرد وإخلاص قبل أن تكون مراجعة الحساب من قبل شعوبها وقبل أن تدفع غالياً ثمن تقويم تلك التجربة.

لقد باتت هذه الأنظمة حاجزاً بين الشعوب وبين عودتها إلى دينها وتراثها، تماماً كما أصبحت أنظمة دول أوروبا الشرقية قبل أن يتفجر الوضع وتسقط الهياكل والعروش دون أن تغني عنها قواتها العسكرية وأجهزتها الأمنية شيئاً، بل إن هذه القوات أصبحت في النهاية حليفة الشعوب لا حليفة الطغاة...

فإذا كانت الأيديولوجيات الوضعية قد سقطت في عقر دارها ومواطن نشأتها فلا يعقل أن تبقى الأنظمة عندنا متشبثة بها!! لا يعقل أن يكون الإسلام اليوم . عقيدة ونظاماً ومنهجاً وحضارة . ملء عين العالم وسمعه وبصره، وتلقفه وتهفو إليه قلوب الملايين.. ويتشرف بالانتساب إليه في كل يوم عشرات من كبار علماء ومفكري وفلاسفة العالم بعد أن انتهت بهم إليه رحلة التفتيش عن الحقيقة وأدركوا أنه بحق الدين القيم!!

لا يعقل أن تبقى الأنظمة في بلاد العالم الإسلامي غير معنية بما يجري، إن لم تكن ناقمة ومتآمرة على ما يجري!! إنه لا تزال فرصة أمام هذه الأنظمة ولكنها ليست طويلة لتعلن بنفسها أسلمة نفسها بدءاً بالعقيدة وإنهاء بالنظام والقانون.. إنه ليس أمامها خيار أو حرية أو إختيار .. وبالنتيجة فإن الجماهير ستختار، ويوم تختار الجماهير فلن يكون هنالك مواقع لرافض أو معاكس أو معاند ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ {الأنبياء: ١٨}، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ {الأنفال: ٢٤} .

ونحن هنا لا نأتي بجديد حين نخاطب الأنظمة والحكام بهذه اللغة..
فهي لغة القرآن وهي اللغة التي خاطب ودعا بها رسول الله ﷺ ملوك
العالم إلى الإسلام..

وهذه قطوف من رسائله عليه أفضل الصلاة والسلام، ليعتظ حكامنا
وليعتبر أولو الألباب.

شواهد :

• كان أول رسول بعثه رسول الله ﷺ (عمرو بن أمية الضمري) إلى
النجاشي، فأخذ كتاب رسول الله فوضعه على عينه ونزل من سريره
فجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق وقال: لو كنت
أستطيع أن آتية لأتيته.. (طبقات سعد ٢/٢٣١).

• ولقد أرسل رسول الله ﷺ كتاباً إلى أهل نجران جاء فيه: ((باسم
إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من
عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فقد
أذنتكم بحرب، والسلام)) (رواه البيهقي)..

• وبعث رسول الله ﷺ (دحية بن خليفة الكلبي) بكتاب إلى هرقل
الروم جاء فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد رسول الله إلى
هرقل عظيم الروم، وسلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك
بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتلك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن
عليكم إثم الأريسيين - يعني عامة الشعب)) (البخاري ومسلم).

• وبعث رسول الله ﷺ (عبد الله بن حذافة السهمي) بكتاب إلى
كسرى، فقرأ عليه ثم أخذه فمزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال:

((مزق الله ملكه)). فلم تمضي فترة قصيرة حتى سلط الله تعالى عليه
إبنة شيرويه فقتله. وتمت كلمة الله واستجيبت دعوة رسول الله ﷺ.

وقد يقول قائل: ولكن ما علاقة هذه الشواهد بواقعنا اليوم وحكامنا
المسلمون؟! ونقول: إن للإسلام على أولي الأمر شروطاً ومتطلبات وإن
للمسلم صفات ومواصفات..

- من شروط الإسلام فيهم أن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.
- ومن شروط الإسلام فيهم أن يحتكموا إلى شرع الله ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَأَ
يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ {النساء: ٦٥}.

- ومن شروط الإسلام فيهم أن لا يتخذوا أعداء الإسلام أولياء من
دون المؤمنين ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ...﴾ {آل عمران: ٢٨}.

- ومن شروط الإسلام فيهم أن يكونوا ﴿أَذَلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَظَةً
عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ {المائدة: ٥٤}.

- ومن شروط الإسلام فيهم سهرهم على الرعية وحفظهم لدينها
وعرضها ومالها.

- ومن شروط الإسلام فيهم حماية ثغور الإسلام وعدم التفريط
بشبر من أراضي المسلمين ((ماغزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا)).

- ومن شروط الإسلام فيهم امتلاكهم للقوة وتهيئة شعوبهم
للجهاد، وتنظيف المجتمع من كل مظاهر الميوعة والفساد...

- ومن شروط الإسلام فيهم عدم توقيع معاهدات الذل مع أعداء
الإسلام.

فأين حكام العالم الإسلامي من هذه الشروط؟ وهي لا تعدو أن تكون نماذج، قدمت على سبيل التمثيل لا الحصر..

المشكلة الكبرى في العالم الإسلامي تتجلى في إرتهان الحكام للقوى العظمى، وإرتباطهم مواقع نفوذ الدول الكبرى وقراراتها وسياساتها بصرف النظر عما تحققه لهم هذه المعادلة من مصالح صغرت أم كبرت، لأن القضية تبقى في نظرنا أكبر من المصالح وفوق كل المصالح..
القضية في نظرنا قضية صراع حضاري وفكري وعقائدي يجب أن تبقى فوق المساومة كائناً ما كان الثمن..

العالم الإسلامي . إن تمكن من فك إرتباطه . أو على الأقل تحرر من ولائه للغرب وأحل نظام الإسلام محل النظم الوضعية المختلفة في أجهزة الحكم والقضاء والإقتصاد والإجتمع، وتجاوزت أخوة الإسلام كل الإعتبارات المذهبية والعرقية والقومية..

إن العالم الإسلامي يملك أن يشكل قوة عظمى لا تعدلها قوة ولا تقف في وجهها قوة.. فهل يعي حكام العالم الإسلامي هذه الحقيقة؟.

هذه هي الأهداف التي تنادي بها الحركة الإسلامية وتسعى جاهدة لتحقيقها، ومن أجل هذه الأهداف تدفع الحركة الثمن باهظاً من قبل الأنظمة والسلطات التي تآبى إلا أن تكون جسر عمالة وخيانة وتبعية وعار.

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية

الفصل التاسع

دور الحركة الإسلامية

حيال المتغيرات العالمية

فتاوى
الدين

تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتاوى يكن الفكرية الإنسانية

الفصل التاسع

دور الحركات والمؤسسات الإسلامية

تجاه الفراغ العقائدي..

لكم كنا نمثي النفس بمجيء يوم تتضافر فيه كل الجهود.. جهود الحكام وجهود الدعاة.. جهود الانظمة وجهود الحركات للنهوض بالدور الإسلامي الرسالي المفروض علينا كأمة مسلمة تجاه العالم الذي غرق في أحوال المادية، واكتوى بنار الحضارة الغربية، وإستبعده الآلة حتى غدت قيمته سواء..

ولكن كما قال الشاعر:

ما كل ما يتمناه المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

لقد أصبحت هنالك فجوة كبيرة بين الحاكم والداعية وبين النظام والحركة، وأصبح شغل الحاكم مطاردة الداعية وشغل الداعية الكيد للحاكم.. وبهذا ضاعت جهود واستنزفت طاقات كانت تكفي لو اجتمعت وتجمعت لهداية العالمين، ولإقامة الحجة على الناس أجمعين..

وليت الأمر متوقف عند هذا الحال، وانحصر الصراع بين الساحة الإسلامية والأنظمة الحاكمة. إن الجريمة الكبرى التي ترتكب بحق الإسلام اليوم أن ينتقل الصراع إلى الساحة الإسلامية نفسها، فتعدد المدارس، وتتكاثر التنظيمات والحركات، وينشغل الإسلاميون للكيد

ببعضهم البعض، والرد على بعضهم البعض.. فهذا صويٌّ وذاك سلفي،
وآخر خلفي.. بل تمزقت كل فئة إلى فئات، وكل طائفة إلى طوائف
يطعن بعضها بعضاً ويلعن بعضها بعضاً..

وبدل أن يكون لهذه الفرق والفئات دور البناء والهداية والتوجيه في
مجتمعاتها أصبح لها دور الهدم والغواية والتخريب.

- فكم من فئات جاهلة بالإسلام بحاجة إلى من يعلمها أمور دينها.
- وكم من فئات ناشزة عن الإسلام بحاجة إلى من يردها إلى
مبادئه وبأخذ بيدها إلى حظيرته.
- وكم من ضال منحرف بحاجة إلى من يأخذ بيده ويقدم له
النصح والرشاد.

هذه وغيرها من المسؤوليات و المهمات الجسام أصبحت معطلة في
زحمة الصراع الإسلامي الذي بلغ حداً تجرأ فيه الأخ على تكفير أخيه،
وتجرات فيه الفئة المسلمة على تكفير الفئة الأخرى.

وليت هؤلاء يستحيون من الله ثم من أنفسهم، و يتبين لهم سوء
عملهم وانحراف نهجهم، وشناعة فعلهم، وبشاعة جريمتهم.. ليتداركوا
الأمر قبل فوات الأوان.. وليدركوا أنما المؤمنون إخوة مهما اختلفت
وجهات النظر.. وأن المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً
وأن المسلمين أشداء على الكفار رحماء بينهم.. وأن المسلم أخ المسلم
لا يظلمه ولا يشتمه ولا يخذله ولا يكذبه.. وأن كل مسلم على المسلم
حرام دمه وماله و عرضه.. وأن المسلم لا يغتاب ولا يظن ولا ينم ولا يتتبع
العورات، وإنما يلتمس الأعذار لا العيوب.

مصيبة من مصائب هذا الزمن أن كل فئة إسلامية تريد إلغاء الأخرى وترى أنها صاحبة الحق المطلق وأن سواها على الباطل المطلق، في حين كان المجتمع الإسلامي عبر التاريخ يتسع للمسلمين ولغير المسلمين من اليهود والنصارى..

حيال هذا الواقع المأساوي الذي تعيشه الساحة الإسلامية بالرغم من تناميها واتساعها يصبح من المحال مطالبتها بالقيم بدور دعوي رسالي في المجتمعات غير الإسلامية، قبل أن تكون قد تهيأت للقيام بهذا الدور على أكمل وجه..

ومن هنا يصبح من الواجب أن تتركز الجهود كل الجهود لصياغة مشروع إسلامي مشترك يتسع للجميع ويسع الجميع، بعد أن تزول الحواجز النفسية القائمة، والتناقضات الفكرية المصطنعة.

وفي هذا المجال قدم الدكتور مانع الجهني بحثاً إلى المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي بعنوان (الإسلام بغير المسلمين) جاء فيه: (وأود أن أقترح على المشاركين في هذا المؤتمر وعلى المنظمات الإسلامية والهيئات المعنية بتنظيم مؤتمر عالمي عن (كيفية تقديم الإسلام للعالم) حيث يلتقي فيه الخبراء ويناقشون أحسن الوسائل للدعوة الإسلامية، وكيف يمكن الاستفادة من تجربة كل فرد في هذا المجال. يجب أن يسبق هذا المؤتمر تقارير عديدة عن أوضاع الفاعليات الإسلامية الموجهة لغير المسلمين في كل مكان، وإنني لعلي ثقة أن مثل هذا المؤتمر. في حال تنفيذه كما ينبغي له. سوف يفتح أمام الدعوة

الإسلامية طرقاً عديدة تؤدي إلى هداية شعوب في حاجة ماسة إلى نور الإسلام وهدى القرآن الكريم).

مشروع برنامج دعوة الشعوب الغير الإسلامية إلى الإسلام:

دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وبخاصة الشعوب التي إكتوت بنار التجارب الإيديولوجية المختلفة، وأصببت بخيبة مريرة في آمالها وأمانها، والتي باتت لاتصدق كل ماتسمعه، ولا تقبل بسهولة كل ما يعرض عليها، والتي أصبحت خائفة من كل شيء، كافرة بكل شيء.. دعوة هذه الشعوب إلى الإسلام تحتاج إلى دقة متناهية، ودراية عميقة، وخبرة واسعة، وفن في الدعوة أخذ، وأسلوب في العرض جذاب، ومنهجية سليمة، تضع كل شيء في موضعه وفق سلم من الأولويات دقيق. وإلا جاءت النتيجة بعكس المنشود والمرتجى. وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ {النحل: ١٢٥}، وصدق رسوله الكريم حيث يقول: ((أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم))..

دعوة تلك الشعوب إلى الإسلام تقتضي من الدعاة إدراك جملة حقائق منها:

أولاً : يجب أن ندرك تماماً أن تلك الشعوب لديها تصور سيء عن الإسلام، وتزدحم عندها شبهات ومغالطات لاحصر لها ولا عد عن الأديان والرسل والرسالات..

ثانياً: كما يجب أن نعلم إن تلك الشعوب وبخاصة الهاربة من جحيم الشيوعية مشغولة حالياً بتحسين أوضاعها المعيشية، فليس لديها الوقت

الكافي لمناقشة القضايا الفكرية والعقيدية والسياسية وغيرها مما يجب أن نضعه بالحسبان..

ثالثاً: إن هذه الشعوب بحاجة إلى من يهدئ روعتها، ويخفف لوعتها، ويمنحها جرعة من أمان وأخرى من إطمئنان.. إنها شاردة تائهة ضائعة بعد أن قطعت الفلسفة المادية كل صلة لها بالله والدين وسائر الغيبات والمشاعر الفطرية نحواً من سبعين عاماً..

رابعاً: إن تأثير الدعاة في هذه الشعوب إنما يتحقق بالقدوة والمعاملة ولسان الحال، وليس بالفكر المجرد والكلمة المحنطة، والعبارة المنمقة. والتاريخ الإسلامي الطويل يؤكد أن إنتشار الإسلام في الأقطار والأمصار كان من خلال الفعل قبل القول، أو الفعل المتطابق مع القول، أو الشعر المنسجم مع التطبيق، أو التصور المترجم إلى تصرف.. مصداقاً لقوله ﷺ ((ليس الإيمان بالتمني ولكن ما قر في القلب وصدقه العمل)) ورضي الله عن علي بن أبي طالب حيث يقول : (من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تهذيبه بلسانه، ومعلم نفسه ومهذبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم)..

خامساً : يجب أن ندرك كذلك أن هذه الشعوب ستكون هدفاً للغزو الفكري من جديد. وإنما لن نكون في الميدان لوحدنا..

فالؤسسات التبشيرية ستتنشط من جديد لإعادة علاقة هذه الشعوب بنصرانيتها..

والأحزاب الراديكالية ومنها الشيوعية الغورباتشوفية . ستنافس هي الأخرى على ود الجماهير..

والأحزاب الليبرالية اليمينية ستبدو وكأنها سيدة الموقف وحائزة
للمنصر بعد الهزيمة النكراء التي منيت بها الفلسفة الماركسية..
وهكذا ستكون تلك المجتمعات مسرح تنافس بين مختلف التيارات
والأفكار والعقائد..

إلا أنه بالرغم من كل الصعاب التي تعترض طريق دعوة هذع
الشعوب إلى الإسلام يبقى لها النصيب الأوفر من القبول لدى الجماهير
إن توفرت الأسباب اللازمة لحسن الأداء الدعوي والرسالي، لأنها دعوة
الفطرة التي لا تعقيد فيها ولا غموض. وكلمة الله ورسالته المعجزة التي
لم تنل منها تحديات على كثرتها واستمرارها، وبقيت تتلأأ على مدى
العصور والدهور يكلؤها وعد الله بالحفظ والتمكين وصدق الله أصدق
القائلين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ {الحجر: ٩}.

الموضوعات الأساسية التي تحتاج إلى طرح:

هنالك الكثير من الموضوعات والأفكار الإسلامية التي تزدهم بها
الكتب والمؤلفات، إنما الدعوة في الوسط الذي أشرنا إليه يحتاج إلى
موضوعات نوعية مختارة بدقة متناهية لتكون على تلاؤم وتوافق كامل
وعام ووثيق مع طبيعة هذه الشعوب.. مع الحالة التي هم عليها..
موضوعات تلامس صميم مشاكلهم.. تحرك شفاف قلوبهم.. تبلمس
جراحات نفوسهم..

ونقترح في هذا المجال التركيز على الموضوعات التالية وبخاصة في

البداية:

- الله في المفهوم الإسلامي .
- أثر الإيمان بالله في حياة الإنسان.
- حاجة البشر إلى الرسل .
- الرسول في المفهوم الإسلامي.
- القرآن والإنجيل و التوراة .
- الغاية من الحياة ومن خلق الإنسان.
- دور الإنسان في الحياة.
- الحياة بعد الموت.
- الإنسان و الإشباعات الحسية و النفسية.
- حقوق الإنسان في الإسلام.
- الإسلام منهج حياة .

كتب مقترحة في هذا المجال :

- ترجمة معاني القرآن الكريم: لبيكتهول أو يوسف علي.
- إسلام إن فوكس (أي الإسلام مركزاً) : لحمودة عبد العاطي.
- التعريف بالإسلام: لحميد الله.
- كيف نفهم الإسلام: للمودودي.
- القرآن الكريم والإنجيل والتوراة والعلم: لموريس بوكاي.
- الإسلام ملاذ المجتمعات البشرية: لمحمد سعيد رمضان البوطي.
- حتمية الحل الإسلامي: للقرضاوي.
- المستقبل لهذا الدين: لسيد قطب.
- إسهامات المسلمين في العلوم.
- تنظيم الأسرة في الإسلام: لعبد العاطي.
- الله يتجلى في عصر العلم.
- العلم يدعو إلى الإيمان.
- الإنسان بين المادية والإسلام: لمحمد قطب.

- الإنسان ذلك المجهول.
- الدعوة للأمريكيين، نظرياً وتطبيقياً: جونون ستيف.
- دراسات مقارنة عن المسيحية والإسلام: عزيز الصمد ألفت.
- محمد في الإنجيل: داود عبد الأحد.
- هل الإنجيل كلمة الله: أحمد ديدات.
- خرافة تجسيد الإله: هيك جون.
- دراسات إنجيلية من منظور إسلامي: مفسر سليمان شهير.
- محاضرات في النصرانية: محمد أبو زهرة .
- إظهار الحق: لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي.

مقترحات عملية لنشر الدعوة بين الشعوب غير الإسلامية:

هنالك العديد من الوسائل والطرق التي تسهم إلى حد كبير في إنجاح خطة أسلمة الشعوب غير المسلمة يمكن أن تتضمنها خطة متكاملة، إنما نكتفي في هذه العجالة بإقتراح مايلي:

أولاً: إقامة مراكز ثقافية إسلامية في البلاد المطلوب دعوة شعوبها إلى الإسلام، تعنى بتنظيم المحاضرات والندوات والمناظرات وفق المنهجية الهادفة، وإنشاء تنظيمات إسلامية جديدة إلى جانب دعم وترشيد التنظيمات الموجودة. (راجع في نهاية الفصل بيان حزب النهضة الإسلامي).

ثانياً: إقامة معاهد للدراسات الإسلامية ذات مناهج نوعية، وبإشراف أساتذة دعاة يملكون الخبرة العملية، فضلاً عما يتمتعون به من مواصفات خلقية وجاذبية دعوية.. (راجع في نهاية هذا الفصل خبر إنشاء معاهد إسلامية).

ثالثاً: إقامة مؤسسات تعنى بالوسائل السمعية والبصرية بحيث تقدم الإسلام لهذه الشعوب من خلال العرض السينمائي الشائق، بلغة العصر،

وفن العصر، وتقنية العصر وحبذا لو أمكن إقامة محطات للبث الإذاعي والتلفزيوني الخاص أو المستأجر.

رابعاً: تنظيم البعثات التطوعية للدعاة المسلمين من كافة أقطار العالم الإسلامي، للقيام بزيارات موسمية لتلك البلاد، يعقدون الندوات، ويلقون المحاضرات، ويعطون الدروس، ويقيمون المناظرات في إطار الموضوعات الهادفة السالفة الذكر..

خامساً: إقامة المعارض والمكتبات الإسلامية التي تعنى بتقديم الإسلام عبر الكلمة المقروءة والشريط المسموع والمرئي، ومن خلال كتيبات وكتب ونشرات تعالج قضايا الإنسان المعاصر ومشاكله الطاحنة، مقدمة الحلول الإسلامية والعلاجات الربانية بلغة العصر وأسلوب العصر.

سادساً: محاولة الولوج على المؤسسات والمعاهد والكنائس والمنتديات العامة والتنسيق مع القائمين عليها بما يفسح المجال لتلاقح الأفكار وتنظيم الحوار الهادف البناء الذي يفضي إلى الحقائق والثوابت من الأفكار والقيم والمعتقدات..

سابعاً: التركيز على المشكلات والأمراض والعلل التي أفرزتها الحضارة الغربية والفلسفات اللادينية والتي حولت المجتمعات الغربية والفلسفات اللادينية والتي حولت المجتمعات الغربية إلى جحيم مطلق، والتي أشاعت الخوف والقلق على المستقبل والمصير، وعلى أن يشفع ذلك بإحصاءات وأدلة علمية موثوقة من ذلك:

- إن نحواً من عشرة ملايين أميركي مصابون بالإكتئاب الحادة.

- و إن ٢٠ ٪ مصابون بإضطرابات عقلية.
- وإن هنالك حالة إجهاض بين كل ثلاث حالات ولادة.
- وإن نسبة المواليد غير الشرعيين تصل إلى ١٥ ٪.
- وإن نسبة حالات الطلاق إرتفعت إلى ١٦ ٪ عام ١٩٨٠.
- وإن ٥ مليون أميركي كانوا ضحايا إعتداءات جنسية.
- وإن نسبة ٧ ٪ هم أسرى إدمان المشروبات الكحولية والمخدرات.
- وإن نسبة جرائم القتل إرتفعت إلى ٣١ ٪ حتى عام ١٩٨٠.
- وإن نسبة جرائم السرقة أصبحت ٥٦ ٪ والسطو المسلح ٧٩ ٪ والإغتصاب ٩٩ ٪.
- وإن نسبة ٨٠ ٪ من كلية المدارس الثانوية قد مارسوا تعاطي المخدرات .
- وإن ما يربو على ٢٦٠٠٠ قد إنتحروا خلال ١٩٨٢ .

كل هذه الظواهر وغيرها يجب أن يجري التأكيد من خلالها على فشل كل الإديولوجيات والفلسفات والشرائع الوضعية مما يجعل الخروج من المأزق والنجاة من هذه المآسي والويلات مرهوناً بعودة البشرية إلى ربها واعتماد المنهج الذي أرسل، والدين الذي أنزل: ﴿ .. ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ {الرُّوم:٣٠}

بيان حزب النهضة الإسلامي:

ونود هنا أن نسوق الخبر التالي الذي نشرته جريدة الحياة في عددها

الصادر في ٣٠ / ١٠ / ١٩٩٠:

أكد الدكتور أحمد قاضي أختايف رئيس حزب النهضة الإسلامي (الحياة) أن حزبه سيخوض الإنتخابات النيابية في جمهورية آسيا الوسطى ومناطق أخرى من الإتحاد السوفياتي. وسيطالب في حال فوزه

بإعتماد الشريعة الإسلامية أساساً للحياة الإجتماعية في هذه الجمهوريات.

وقال "أمير" حزب النهضة، الذي يضم الآن عشرة آلاف عضو إنتسبوا إليه بعد المؤتمر التأسيسي الذي إنعقد في التاسع من حزيران(يونيو) بمدينة أستراخان في حوض نهر الفولغا حيث يوجد تجمع إسلامي كبير: إن الأهداف الأساسية للحزب تتمثل في الإحياء الروحي، وتوحيد المسلمين، وإطلاعهم على أصول الدين، وخوض الإنتخابات النيابية في الجمهوريات والمناطق التي توجد فيها غالبية إسلامية أساساً لحياة المجتمع هناك.

وأشار إلى أن شعوب الجمهوريات الإسلامية إذا طلبت الإنفصال عن الإتحاد السوفياتي فإن حزب النهضة "سيضع إرادتها في حساباتها". لكنه شدد على ضرورة توحيد المسلمين والدعوة للإسلام بين سائر المواطنين السوفيات في الوقت الحاضر.

و للحزب تنظيم هرمي يبدأ من الحلقات وتليها منظمات الأفضية والمناطق، ثم التنظيمات الإقليمية. وفي قمة الهرم "مجلس العلماء" الذي يضم ١٧ عضواً من مختلف مناطق الإتحاد السوفياتي برئاسة الأمير الذي يتولى بالوقت نفسه قيادة اللجنة التنسيقية وهي الهيئة التنفيذية التي سيقوم جميع أعضائها في موسكو. وينوي الحزب التبشير بأفكاره من خلال صحيفة "الهداية" التي تصدر في دوشنبه عاصمة طاجكستان باللغة الطاجيكية بحروف عربية وتطبع عشرة آلاف نسخة، بالإضافة إلى

صحيفة "الوحدة" التي ستصدر قريباً في موسكو بالروسية بخمسين ألف نسخة.

وأفاد زعيم الحزب أن مجلس العلماء رفض اعتماد مبدأ بدلات الإشتراك كأساس لتمويل النشاط الحزبي، لكنه يقبل التبرعات وبنوي إنشاء شركات مختلطة مع جهات أجنبية. وأكد أن الحزب لم يتلق أي مساعدات من الخارج (لكنه لن يمانع في قبولها إذا لم تشكل عائقاً يقيد حرية عمله).

وذكر أختايف أن حزب النهضة يرفض العنف والإرهاب كوسيلة لتحقيق الأغراض السياسية مؤكداً أنه (يحترم الثورة الإسلامية في إيران، لكنه لا ينوي اتباع أساليبها).

وعلى صعيد السياسة الاقتصادية قال أختايف أن حزب النهضة يؤيد الملكية الخاصة ويدعو لقدر أكبر من الليبرالية في الاقتصاد، لكنه "يتحفظ على العضوية والعشوائية" ويطمح إلى الإعتداد "المبادئ الاقتصادية الإسلامية".

واعتبر أن إشراك المرأة في الحياة الاقتصادية كان خطأ ارتكب في الإتحاد السوفياتي ولم يؤد إلى وفرة اقتصادية، بينما ترتب عليه "إنحلال في الأخلاق".

ورداً على اتهامات وجهت إلى الحزب ووصفته بأنه "سلفي وأصولي" قال أختايف: (إن الأصولية إذا كانت تعني درس الأصول والعودة إليه فنحن نؤيدها). لكنه أضاف: إن ذلك لا يعني رفض العلم والتكنولوجيا أو التخلي عن المشاركة في الحياة الثقافية والسياسية، وأشار إلى أن هناك

(تكنولوجيا غربية لا يمكن أن تستغني عنها، لكننا نرفض، مثلاً الإباحية التي يبشر بها البعض).

وعلى صعيد التحالفات السياسية المحلية أكد أختايف أن حزب النهضة يرحب بالتعاون مع أي حزب لا يدعو إلى العنف أو الشوفينية، ولا يستثنى من ذلك الحزب الشيوعي (إذا تخلص فعلاً عن أساليبه في قمع الجماهير). لكنه شدد على أن هذا التعاون يجب ألا يتم على حساب الإسلام والمسلمين.

وذكر أن الهيئات الدينية الإسلامية الرسمية تتعرض إلى ضغوط من الدولة وأن بعض العاملين فيها يخشون فقدان مناصبهم ولذا فإنهم اتخذوا مواقف ضد حزب النهضة الإسلامي ومنعوا أئمة المساجد وسائر العاملين في الهيئات الدينية الرسمية من الإنتماء إلى أحزاب سياسية خصوصاً حزب النهضة، باعتبار أن الدين "عبادة وليس سياسية".

وقال أختايف: إن الحزب لا يريد أن يدخل في مجابهة مع "الإسلام الرسمي" لكنه يرفض الوصاية، من جهة، وسيحاول، من جهة أخرى، جر أكبر عدد من المسلمين إلى الحياة السياسية (بغية إنقاذهم من الخوف وتوحيد كلمتهم على اختلاف مذاهبهم).

ويُذكر أن في الإتحاد السوفيياتي حالياً حوالي ٧٠ مليون مسلم يتبع معظمهم المذهب الحنفي (آسيا الوسطى) بينما تتبع غالبية سكان شمال القوقاز المذهب الشافعي، في حين أن الأذربيجان في الغالب من الشيعة.

لكن أختايف أكد أن حزب النهضة يطمح إلى توحيد المسلمين السوفييات بغض النظر عن المذاهب. وعلى هذا الصعيد، أشاد بالجهود

التي تبذلها جبه الإنقاذ الجزائرية وزعيمها عباس مدني. وكان أخاتيف أدى فريضة الحج السنة الجارية. وقال إنها أتاحت له فرصة التعرف إلى "إخواني في الدين من مختلف الديار".

وسُئل عن أزمة الخليج فأجاب: (إن المسلمين أخوة. وهم قادرون على معالجة مشاكلهم بأنفسهم).

وطلب من "الحياة" أن تنقل إلى المسلمين دعوته لأن (يتبعوا القرآن والسنة ويحلوا خلافاتهم سلماً ...) ويظهروا اهتماماً أكبر بإخوانهم في الإتحاد السوفياتي).

وشكا "أمير" حزب النهضة، الذي تعلم العربية على يد فقهاء في قضاء غونيب في جمهورية داغستان القوقازية، من ندرة المصادر الفقهية والدينية. وأشار خصوصاً إلى الكتب التي تتناول الأسس الإقتصادية في الإسلام. وأعرب عن امتنانه للقيمين على "مكتبة الإيمان" في المدينة المنورة لأنهم فتحوا أمام الحجاج السوفيات أبواب المكتبة وسمحوا لهم بأن يأخذوا مجاناً أي كميات من الكتب التي يريدون.

معاهد إسلامية جديدة :

وهنا تجدر الإشارة إلى أن جريدة "اللواء" اللبنانية نشرت في عددها الصادر في تشرين الثاني سنة ١٩٩٠ ما يلي:

افتتحت في مدينة (خيو) العريقة مدرسة دينية إسلامية جديدة تعتبر المؤسسة التعليمية الدينية الثانوية الثانية في أوزباكستان بعد

مدرسة (مير عرب) في بخارى، وقدم صندوق الثقافة للإتحاد السوفياتي والسلطات المحلية مساعدة كبيرة في تأسيس المدرسة.

وتختلف المدرسة الدينية في خيوة عن المؤسسات التعليمية المماثلة نوعاً ما في كونها ليست ذات إتجاه ديني بحت. إذ سيدرس فيها الطالب إلى جانب مواضيع الفقه والقران الكريم والأحاديث الشريفة، النحو والصرف واللغة العربية واللغة الأوزبكية وأصول الخط ويتعرفون على أسس العمارة الشرقية والفلسفة الشرقية القديمة.

ولهذا فقد يحصل الطلاب لدى التخرج من المدرسة الدينية ليس على التعليم فحسب بل وعلى مهنة يختارونها في أثناء فترة الدراسة..

وأعلن زاهد جان قادروف أن المسؤولين في الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى عن ترحيبه بمبادرة صندوق الثقافة السوفياتي واللجنة التنفيذية لمدينة خيوة لافتتاح المدرسة الدينية..

كما تقام دورات في كل مكان لتعليم اللغة العربية بصورة مستقلة عن الإدارة الدينية وكذلك مدارس دينية للأطفال في المساجد.



تأسست عام ٢٠٠٩

مؤسسة فتحي يكن الفكرية الإنسانية



الفصل العاشر

علاقة البيريستروكيا بأحداث الخليج

والخارطة الجديدة للعالم

حين شرعنا في إعداد هذا الكتاب، لم تكن أحداث الخليج قد وقعت بعد، وإن كنا نحسب أن الإعداد المسبق لها كان قائماً.. فالعراق لم يكن قد اجتاح الكويت، والحشد العسكري الأجنبي لم تكن قد تهيأت مبرراته وذرائعه.

أما وقد حصل ما حصل.. وبعد أن أخذت الصورة تتضح يوماً بعد يوم، حيث تكشفت كثير من خيوط المؤامرة، وراحت تستبين ملامح العلاقة بين أحداث دول أوروبا الشرقية وبين أحداث الخليج، فكان لابد من إضافة هذا الفصل المختصر حرصاً على تكامل الموضوع..

إن مراجعة سريعة للأحداث التي عصفت بدول أوروبا الشرقية وجمهوريات الإتحاد السوفياتي، في أعقاب طرح (غورباتشوف) لفكرة (البيريستروكيا) تشير إلى المستفيد الأول من كل ما جرى ويجري هي: الصهيونية العالمية (إسرائيل بشكل مباشر)، إضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية..

فالأحداث المشار إليها أسقطت معادلة التوازن الدولي التي كانت قائمة على مدى السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، وبالتالي بين الحلف الأطلسي

وحلف وارسو، من حيث تقاسم النفوز في كل أنحاء العالم، وفي العالم الثالث بشكل خاص، مما أفرد أمريكا بلعب الدور الأول في مجمل السياسات والقضايا الدولية وعلى كل صعيد..

وإذا عرفنا أن (اللوبي الصهيوني) يتحكم . إلى حد كبير . في الإدارة الأمريكية والقرار الأمريكي تبين لنا مايلي:

١ - أن السياسة الأميركية على توافق شبه تام . وفي غالب الأحيان . مع المصالح الصهيونية عموماً ومصصلحة إسرائيل بوجه خاص، وإن معظم القرارات التي تُدين إسرائيل كان يسقطها (الفييتو) الأمريكي..

٢ - إن الصهيونية العالمية، والولايات المتحدة الاميركية تحديداً تقف . بشكل أو بآخر . وراء الأحداث الجارية في المعسكر الشيوعي..

٣ - إن الصهيونية التي تطمع وتخطط للسيطرة على العالم، على ثروته وسياسته، قد تمكنت إلى حد كبير من تحقيق أهداف نوعية واستراتيجية من خلال غورباتشوف ومقولة البيريسترويكا، والتي سبق أن أشرنا إليها آنفاً، وفي معرض الكلام عن الصهيونية كمستفيد أول من كل ما يجري.

٤ - أن هذه الساسة (الصهيونية الأميركية) الرامية إلى وضع اليد على مقدرات العالم وكنوزه وثرواته المختلفة قد خططت لتحقيق ذلك من خلال خلق واصطناع الذرائع الكافية للقيام بهذه الخطوة في المنطقة الأكثر ثراء والأكثر توتراً على إمتداد العالم الإسلامي..

لماذا الحشد العسكري في المنطقة ؟

كائناً من كانت الذرائع التي تقف وراء الحشود العسكرية الأجنبية في منطقة الخليج، فإنها لا يمكن أن تخفي حقيقة النوايا والأهداف المبيتة للعالم الإسلامي حاضراً ومستقبلاً..

- فأحداث الخليج لا يجوز النظر إليها وتفسيرها على أنها مغامرة عراقية وشهامة أميركية للدفاع عن مقدسات المسلمين وشعوبهم وأنظمتهم!

- أحداث الخليج جاءت في أعقاب متغيرات جذرية تشهدها القارة الأوروبية، من شأنها أن تعيد رسم الخارطة السياسية في هذه القارة، بما من شأنه أن يخلق معادلة دولية جديدة عوضاً عن المعادلة التي انهارت في أعقاب انهيار المعسكر الشيوعي..

- أحداث الخليج جاءت في أعقاب التنامي الملحوظ للإنتفاضة الإسلامية المباركة في فلسطين وتهديدها اليومي لأمن الدولة العبرية..

- أحداث الخليج جاءت في أعقاب التدفق المتزايد للمهاجرين اليهود من الإتحاد السوفياتي وعدد من الدول الأوروبية والأفريقية إلى إسرائيل، والمنتظر أن يصل إلى ثلاثة ملايين يهودي..

- أحداث الخليج جاءت في أعقاب تنامي واتساع الصحوة الإسلامية و بالتالي تراجع وانهيار التيارات اليمينية واليسارية في العالم الإسلامي أجمع، مما يرشح الفكر الإسلامي لقيادة وريادة البشرية من جديد..

من هنا تبدو أبعاد المؤامرة التي تستهدفها أحداث الخليج والتي يمكن تلخيصها بأنها مدخل لإعادة رسم الخارطة السياسية والإدارية والأمنية

والعسكرية والإقتصادية للعالم الإسلامي عموماً والمنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص..

• فتحت عنوان (خرائط تمزيق المنطقة جاهزة) نشرت مجلة (تحولات) في عددها الصادر في أيلول ١٩٩٠ حواراً طويلاً أجرته مع الدكتور جورج قرم، كحلقة أولى على طريق قراءة الآثار القريبة والبعيدة التي ستترتب على أحداث الخليج، وكمحاوله من محاولات إستكشاف الأهداف المباشرة وغير المباشرة للحشد العسكري في المنطقة العربية، يمكن أن نستخلص منه التالي:

أولاً: أن الهدف الإستراتيجي للسياسة الأميركية هو فرز العالم إلى تكتلات دينية تتحكم الولايات المتحدة الأميركية بثرواتها و نزاعاتها من خلال إشعال نار الفتن فيما بينها..

ثانياً: بالنسبة للإتحاد السوفياتي فهو في حال تمزق داخلي كبير، مما يجعله خارج المعادلة الدولية، ويلغي تصنيفه كدولة عظمى من الدرجة الأولى أو الثانية..

ثالثاً: أما بالنسبة لإسرائيل فإنها ستغتتم الفرصة ليس فقط للإستيلاء على الضفة الغربية وطردهم الفلسطينيين منها، بل إلى وضع اليد على عمان (العاصمة الأردنية) تمهيداً لإستقبال اليهود السوفيات..

رابعاً: بالنسبة للعراق، فقد نشرت الصحف الأميركية منذ ثلاث سنوات خرائط تمزيق البلدان المجاورة، وتوزيع أراضيه بين إيران وتركيا وسوريا، مع احتمال إنشاء كيان كردي..

خامساً: وفيما يتعلق بخلط الأوراق، وقلب المعادلات الديمغرافية (السكانية) في منطقة الشرق الأوسط فإن الغرب يعمل على أساس إعادة اليهود بكثافة إلى هذه المنطقة، لجعلها منطقة صراع يهودي إسلامي، ونقل المسيحيين العرب إلى الغرب.

مما سبق يتضح أن ما يجري في المنطقة الخليجية يشبه إلى حد بعيد ذلك الذي يجري في أوروبا في أعقاب عملية خلط الأوراق التي تسببها طرح غورباتشوف للبيرسترويكا، والتي لم تكن بعيدة . كما أشرنا . عن مطابخ الأجهزة الأمنية الأميركية والصهيونية..

وفي منظورنا أن الآلية التي تقف وراء الأحداث الأوروبية والأحداث الخليجية تكاد تكون واحدة..

لقد كان بمقدور واشنطن . وهي التي كانت ترتقب التحركات العسكرية العراقية عبر الأقمار الصناعية وغيرها . أن تحول دون وقوع الاجتياح العراقي للكويت، أو على الأقل أن تعرقل هذا الاجتياح، إنما الواقع أن الأمور كانت تجري وفق ما هو مخطط ومرسوم وبدقة متناهية..

• ومما يؤكد ذلك ما نشرته صحيفة الغارديان البريطانية في عددها الصادر بتاريخ ١٢ أيلول ١٩٩٠ وما وصفته بأنه محضر الاجتماع الذي عقد بين الرئيس العراقي صدام حسين وسفيرة الولايات المتحدة لدى بغداد أبريل غلاسبي قبل أربعة أيام من اجتياح العراق للكويت.

وجاء في المحضر أن غلاسبي أبلغت صدام حسين بأن واشنطن (لا تتدخل في الصراعات العربية . العربية على شاكلة الخلافات الحدودية

بين العراق والكويت). وأضافت أن وزير الخارجية الأمريكية جيمس بيكر أصدر توجيهاته إلى الناطق الرسمي باسم الوزارة كي يعيد التأكيد على المبدأ الذي يعود إلى الستينات بأن هذه المسألة لا علاقة لها بأميركا).

وحسب المحضر الذي نشرته الغارديان فإن غلاسبي. (أبدت قدراً كبيراً من التعاطف مع مطلب الرئيس العراقي رفع أسعار النفط، هذا المطلب الذي كان السبب المباشر في المواجهة بين العراق والكويت حين قالت (غلاسبي): إنني هنا منذ سنوات عديدة وأنا معجبة بجهودكم غير العادية لإعادة بناء بلدكم. كما أنكم بحاجة إلى المال. نحن نعي ذلك ونرى أنه يجب أن تأخذوا فرصتكم في إعادة بناء بلدكم).

واستفسرت غلاسبي في اللقاء نفسه ويحذر شديد عن سبب حشد القوات العراقية قريباً جداً من الحدود مع الكويت، إلا أنها لم تحذر صدام من غزو الإمارة حتى بعد أن أوضح لها بجلاء أنه سيمنح فرصة يتيمة فقط للمفاوضات.

وقالت غلاسبي بالحرف: (نلاحظ أنكم نشرتم أعداداً كبيرة من القوات في الجنوب. وفي العادة فإن هذا العمل ليس من اختصاصنا ولكن حين يتخذ مثل هذا الإجراء في ظل ماقلتموه في عيدكم الوطني (وسردت السفيرة الأميركية سلسلة من التهديدات الموجهة ضد الكويت) يصبح من المنطقي أن نهتم بهذا الموضوع، ولذلك فقد تلقيت أمراً بأن أسألكم إنطلاقاً من روح الصداقة وليس المواجهة حول نواياكم).

أضافت الصحيفة أن صدام رد بطريقة ملتوية واصفاً جهوده للتوصل إلى تسوية مع الكويت، وأفصح عن أن هناك لقاء آخر سيكون الأخير، يعقد في جدة في الحادي والثلاثين من تموز وقال: (عندما نلتقي ونرى أن هناك أملاً، عندها لن يحدث أي شيء ولكن سيكون من الطبيعي أن نمنع الموت عن شعبنا).

وألمح صدام من خلال اللقاء مع غلاسبي إلى أنه قد يتخلى عن شرط العرب. الهدف الإستراتيجي في حربه مع ايران . مقابل الدفاع عن حقوقه المزعومة بالنسبة للكويت وقال: (إذا استطعنا الحفاظ على . يوجد نقص في الأصل . بالإضافة إلى شط العرب فسوف لن نقدم أية تنازلات، ولكن إذا وجدنا أنفسنا مضطرين للاختيار بين نصف شط العرب وبين العراق كاملاً عندئذ سوف نتخلى عن شط العرب مقابل الحفاظ على العراق بالشكل الذي نطمح أن يكون عليه).

وأضافت الصحيفة أنه بعد الإجتياح بأربعة أيام قابل القائم بالأعمال الأميركي في بغداد جوزيف ويلسون الرئيس العراقي وقال له: (من المهم أن تبقي على الحوار بيننا من أجل أن نتجنب ارتكاب الأخطاء. هذه هي الطريقة الوحيدة التي ستمكننا من إزالة التوتر وتهدئة الخواطر).

وفي لقاء ثان مع غلاسبي حث صدام الولايات المتحدة على أن تعي أن مصلحتها التحالف مع العراق الذي يحكمه نظام وطني قوي وواقعي بدلاً من التحالف مع السعودية).

وقال صدام لغلاسبي: (تدركون بأنكم لستم الطرف الذي حمى أصدقاءكم خلال الحرب مع إيران، ولو قدر للإيرانيين أن يجتاحوا

المنطقة لما كان بإمكان القوات الأميركية إيقافهم اللهم إلا بالأسلحة النووية).

وتابع صدام مخاطباً غلاسبي: (عندما نشعر بأنكم تريدون الإساءة إلى كبرياتنا وحرمان الشعب العراقي من فرصته في تحسين مستوى معيشته، إذ ذاك لن نحفل بأي شيء وسوف نسعى إلى الموت غير هيابين).

• ثم من المفيد أن نثبت هنا كذلك النص الحريفي لمحضر اللقاء الذي تم بين الرئيس العراقي والقائم بالأعمال الأميركي بعد ٤ أيام من الإجتياح :

وفي ما يأتي النص الكامل لمحضر اللقاء:

صدام: ماهي أخبار السياسة والدبلوماسية؟

ولسن: وزيركم من خلال CNN لديه معلومات أكثر مني؟

صدام: بعثت إليك حتى ندرس المستجدات التي حصلت بعد لقائنا مع السفير. بعد ذلك اللقاء فشلت المحادثات بيننا وبين الحكومة السابقة في الكويت وحصل الذي حصل.

ولسن: الوزير أطلعني بشكل مبكر.

صدام: أنا مطلع على الموقف الأميركي بتفاصيله. حتى الآن نحن نفهم أنه عندما حصل مثل هذا فإن أميركا تتخذ موقفاً سواء حصل في الوطن العربي، أوروبا، آسيا، أميركا اللاتينية، ولنا مستغربين أن تشجب أميركا عملاً من هذا النوع وخاصة عندما لا تكون طرفاً فيه. ولكن أردت أن أقول إن على أميركا أن لا تندفع تحت إشارات مخطئة

إلى عمل تجد نفسها معه قد وضعت موضع الإحراج. وأنا أقول هذا لأن من طبيعتنا مهما تكن قناعتنا أو قناعة الطرف الآخر أن نبذل ما نراه ضرورياً، الضرر الذي يمكن أن يقع في ضوء تطورات الظروف في الحاضر أو المستقبل.

ولا شك أنكم قد اطلعت على رسائلنا إلى إيران خلال الحرب، وقد ضمناها إستشارة مخلصه ومجانية لرؤية الحاضر والمستقبل. ولأنها صريحة جداً تصور الإيرانيون أنها تكتيكية. ولكننا قلنا كل ما نفكر به لأننا كنا نريد السلام ونتألم من إستمرار الحرب. وتعرفون النتيجة. الإستشارة التي قدمناها إلى إيران لو أخذت بها لما حصل الذي حصل ومن أسوأ ما حصل إستمرار الحرب لفترة طويلة.

إني سأحدث عن العلاقة بين العراق وأميركا في ضوء التطورات وماذا سيكون عليه المستقبل في مالو أخطأت أميركا التصرف.

• وإبتداءً أريد أن أتحدث عن ثلاث نقاط: الترابط في ما بينها، يحصل من خلال الحديث اللاحق.

الكويت كانت دولة وما زالت ضمن حدود غير معروفة أي دولة بلا حدود. وحتى ١٩٦١ لم تكن دولة من وجهة نظر الكثيرين، حتى حصل الذي حصل في زمن عبد الكريم قاسم عندما أصدر مرسوماً جمهورياً يعين حاكم الكويت قائم مقام تحت البصرة، ويجعل الكويت قضاء تابعاً للبصرة.

لماذا حصل هذا في ١٩٦١؟ كان عبد الكريم قاسم وكل العراقيين يعرفون جيداً أن الكويت عراقية وأن حاكم الكويت كان قائم مقام فعلاً وأنه يتسلم الراتب من حاكم البصرة في العهد العثماني. وهذا الحال إستمر على هذا النحو حتى ١٩١٣؟ ثم بعد ذلك جاءت الحرب العالمية الثانية التي أدت إلى ظروف جديدة. إذن الكويت لحد الآن هي دولة ولكن ليس لها حدود، إذن بغض النظر عن التفاصيل، تطورات الوضع التي حصلت داخلياً في الكويت مقياساً للعمل بها في عموم الوطن العربي.

• النقطة الأخرى (العراق والسعودية) أنتم تعرفون أننا بنينا علاقة جيدة جداً مع السعودية تدرجت من العام ١٩٧٥ وحتى الآن تطورت بشكل جيد قبل ٢ آب.

والثقة بيننا والتنسيق حتى ٢ آب كانت تجري على كل المستويات. وعلى حد ما نعرفه مما هو معلن في سياسة أميركا إذا كان المعلن هو كل سياسة أميركا أو جوهرها فإننا لم نجد أن علاقة جيدة بين العراق والسعودية تلحق ضرراً بالمصالح الأميركية. وإنما كانت أحد عوامل الإستقرار في المنطقة واللعب فيها يلحق ضرراً كبيراً بأمن المنطقة وبمصالح الولايات المتحدة .

ومن هذا فإننا لأنفهم معنى التحول الفوري في القول بأن الأميركيان يخافون من القوة العراقية على السعودية وتواتر الأحاديث والتصريحات بأن الدور بعد الكويت سيكون على السعودية.

ولا نعرف في ما إذا كنتم تريدون أن تسبقوا الأمور لتدفعوا السعودية لعملٍ ما ضد العراق مما يؤدي إلى ردة فعل عراقي عليها لتحقيق شيء مما يريدونه.

الكويت كانت جزءاً من العراق وبدلاً من أن تتصرف بشكل صحيح تصرفت بشكل خاطئ، والسعودية لها سيادة كاملة.

أنتم تعرفون بأننا أول من عرض اتفاقية أمن مع السعودية تتضمن عدم التدخل بالشؤون الداخلية وعدم استخدام القوة. وقد وقعنا على ذلك، وعرضناها على الكويت ولم توقعها معنا، ويبدو أنها استلمت نصيحة غربية وقد تكون بريطانية.

كما تعلم كانت بعض الأوساط الغربية متضايقة جداً وتستهزئ من فكرة اتفاقيات عدم التدخل بالشؤون الداخلية وعدم الإعتداء، وتقول كما لو أن نفس الحالة عرضت بين بريطانيا وفرنسا و الحمد لله أن الكويت لم توقع معنا هذه الإتفاقية.

وأنا كنت في غاية السرور عندما قررنا دعم المجموعة الثورية في الكويت لأنه لم تكن هناك الإتفاقية. لأنه لو كان لدينا معهم مثل هذه الإتفاقية لما قمنا بنفس العمل.

إذن السعودية إخواننا وساعدونا في الحرب، وبمبادرة منهم حصلنا على أنبوب النفط، وساعدونا بمساعدات نقدية كمنح وليس كقروض بعضها لم نطلبها وإنما بمبادرة منهم. إذ مشت الأمور كما هو عليه فهم إخواننا، إلا إذا أنتم خربتم الأمور بيننا ودفعتموهم علينا عند ذلك فسيكون لكل واحد حقه بالدفاع عن مصالحه الشرعية.

إذن إذا كنتم فعلاً قلقين على السعودية فإن قلقكم غير واقعي. وإذا كنتم تتظاهرون بالقلق لكي تدفعوا بالسعودية للقلق فهذا شيء آخر.

نحن سنقول لأشقائنا السعوديين نفس الكلام وإننا مستعدون لأية ضمانات مطلوبة لإزالة قلقهم وجعلهم مطمئنين. بل على العكس نشعر

أن من واجبنا الدفاع عن السعودية إذا ما تعرض أمنها للخطر من أجنبي.
أما عن العلاقات مع العرب فيمكن أن نتصالح بين ليلة وضحاها ويمكن
أن تتدهور بين ليلة وضحاها. ونحن حتى الآن لم نلمس منهم أي قلق.
والضمانة موجودة أصلاً لدى السعوديين ونحن أصحاب عهد ونحرص
على ذلك.

النقطة الثالثة تتقدم على النتيجة التي سأقولها، هي أنه حصلت
إشاعات أن صدام حسين أعطى وعداً لبعض المسؤولين العرب بأن
لايستخدم القوة بأي شكل من الأشكال وتحت كل الظروف ضد الكويت.
وعلمنا بصورة أو بأخرى بأن بعض المسؤولين العرب أعطوا للأمريكان
مثل هذا الإستنتاج. والذي يهمني هو أن لا يأخذ الأميركيان أي انطباع
بأننا لا نهتم بمصداقيتنا.

أنا لم أعط مثل هذا التعهد لأي عربي والذي حصل أن بعض الأصدقاء
المسؤولين العرب كانوا يتحدثون معي عن وجود حشود للعراق بإتجاه
الكويت، وكانوا يقولون لي بأن الكويتيين قلقون وخائفون، قلت لهم
بأنني أتعهد لهم بأن لا نقوم بأي عمل عسكري قبل أن ينعقد الإجتماع
الذي إتفقنا عليه في جدة وهذا حصل. ولم يحصل أي عمل عسكري كلي
أو جزئي قبل ذلك الإجتماع، بل ولأننا كنا ننتظر نتيجة جدية من
اجتماع جدة فإننا لم نتخذ القرار إلا بعد رجوع نائب الرئيس ليقول لنا
الموقف الكويتي كما هو.

ثم هنالك من يتحدث عن السرعة التي حصل بها العمل، وأن هذا
يعني أن النوايا سبقت اجتماع جدة. نعم مثل هذا الإحتمال سبق اجتماع
جدة والمترافق مع العمل الوطني الكويتي. ولكن لم يكن هذا هو الإحتمال

رقم واحد الذي كنا نتصرف بموجبه وإنما الإحتمال الأساس هو أن نسترجع حقوقنا بالمفاوضات. ثم إننا عرب فأمر طبيعي عندما يؤذينا من يؤذينا فنحن نقدر أن نؤمن صلة مع المعارضة مثلما يكون الكويتي أو غيره قادراً على أن يتصل بالمعارضة في العراق إذا ما آذاهم.

عندما تعرضت مصالحننا الحيوية إلى خطر أكيد مع سبق الإصرار، وعجزت كل الوسائل الأخرى عن تقديم الحل إستخدمنا القوات العسكرية والسؤال هنا الى الرئيس الأميركي والمسؤولين الأميركيين. أين هو الخطر على المصالح الأميركية إن كان في الكويت أو خارجها؟.

أنتم تعرفون أن نفط العراق يباع لكم منذ جئنا إلى الحكم رغم أن العلاقات كانت مقطوعة آنذاك. وازداد حجم التعامل بعد إعادة العلاقات في ١٩٨٤ وإلى أن اتخذتم قراركم بمقاطعة النفط العراقي. إنكم مستوردون بحدود ثلث الكمية التي نسوقها للخارج. وهذا حصل ليس بمبادرة من الفنيين وبتفصيل الأسواق وإنما تم بقرار سياسي.

نحن نعرف، الذي هو معلن أن مصالحكم هي تجارتكم واستمرار حصولكم على النفط. فإذن أين هو الخطر الذي يجعلكم تناقشون العمل العسكري الذي سوف تهزمون به، وأقول لكم كيف ستهزمون.

أنتم دولة عظمى، ونعرف أنكم قادرون على إيذائنا كما قلت للسفيرة. ولكنكم ستخسرون المنطقة بعدها. وسوف لن تستطيعوا إركاعنا لو استخدمتم كل أسلحتكم.

تستطيعون أن تدمروا الحلقات العلمية والفنية والإقتصادية والنفطية. ولكن كلما دمرتم أكثر كلما أصبح عبئاً عليكم.

ثم إننا بعد ذلك لن نسكت إزاء مصالحكم في المنطقة. حتى ضربنا في الكويت تم عندما أصبح واضحاً لدينا: إما المؤامرة ونتائجها الخطيرة أو العراق العزيز المسالم المقتدر.

لاتضعونا مرة أخرى في موقف مماثل. عندما نرى بأن فرص الحياة تضيق أمامنا فسوف نمنعها على غيرنا. أنا أعرف أنكم دولة عظمى وقادرون على الإيذاء و التدمير ولكن لا أحد يستطيع القضاء على الإنسان إلا الله.

ثم لماذا تريدون معاداتنا؟ لقد ارتكبتم أخطاء شنيعة عندما أضعفتم أصدقاءكم إلى حد كبير حتى أصبحوا غير قادرين على التأثير في نظر شعوبهم.

• الأقوياء لا الضعفاء :

وأدعوكم إلى أن تعطوا أصدقاءكم فرصة للعمل والاجتهاد ليعيدوا النظر لتكوين شخصياتهم ليصبحوا لائقين من وجهة نظر شعوبهم. وفي ما نرى فإنكم قادرون على تدبير مصالحكم مع العناصر القومية الواقعية أكثر مما أنتم قادرون على ضمان مصالحكم مع الضعفاء. تتحدثون عن عدوانية العراقي، إذا كان العراق عدوانياً لماذا كنتم تتحاورون معه عندما كان في الحرب مع إيران. هل تحبون العدوانيين؟ أما إذا كنتم تتحدثون عن تصريح ٢ نيسان الماضي فأنتم تعرفون أننا لم نصدر هذا التصريح قبل و أثناء و بعد الحرب.

• لماذا صرحت بذلك؟ إن بعض الأوساط الغربية والأميركية كانت ترتب الأوضاع لعدوان إسرائيلي ضدنا، فكان لا بد من ذلك قبل أن ترتكب حماقة ضدنا.

ونعتقد أن هذا أنفع للسلام من السكوت ومن ثم ترتكب إسرائيل حماقتها ثم نرد عليها.

تذكرون أثناء الحرب تلقينا قصفاً مستمراً من إيران على بغداد لحوالي السنة. ثم لما امتلكننا الصواريخ لم نستخدمها وإنما هددنا إيران باستخدامها.

لو أن إيران إستمعت للنصيحة لما استخدمناها. والحمد لله أن إسرائيل حتى الآن إستمعت إلينا.

• هل هذا أفيد للسلام؟

بغداد تتحمل صواريخ كثيرة ولكن مدن إسرائيل لا تتحمل ذلك. إذن نحن مسرورون لعدم حصول ذلك.

هل إن الذي هو مسرور لعدم حصول شيء هو المسالم أم الطرف الذي كان يريد الضرب.

• الخلاصة: إذا كان الذي يريده الرئيس الأمريكي هو المعلن من سياسته عن المصالح الأميركية في المنطقة كما تحدثنا عنها، فإننا نرى بأن التصعيد والتوتر والتصرف العسكري هو ضد هذه المصالح. أما إذا كانت هناك مصالح أخرى لأميركا لانعرفها مما هي غير ما ذكرنا فهذا شأن آخر.

وفي كل الأحوال نحن نريد الاستقرار ونريد السلام ولكننا نكره الخضوع ولن نقبله، ونكره الجوع لأن شعبنا جاع لألف عام ولن نعود إليه. و نتطلع بشرف وبمجهودات إنسانية مشروعة للمستقبل بما في ذلك بناء علاقات متطورة إنسانية مشروعة للمستقبل بما في ذلك بناء علاقات متطورة وجيدة مع الولايات المتحدة الأميركية إن أرادت هي ذلك. هذه هي رسالتي الجديدة التي أريد أن تصل إلى الرئيس بوش.

- ولنسن : شكراً سيدي الرئيس و سأنقلها بالتأكيد إلى حكومتي. وبالبداية سوف أنقل هذه الكلمات هاتفياً حال وصولي للسفارة وبعد ذلك سأرسلها مكتوبة.

كما بينتم بحق إن هذا زمن خطير ليس فقط للعلاقات العراقية . الأميركية ولكن بالنسبة للإستقرار في المنطقة والعالم .

- صدام : لماذا خطيرة على العالم ؟

- ولنسن: كما أعتقد أن في الأسواق العالمية اضطراباً وعدم إستقرار .

- صدام: أنتم عملتم على ذلك. ونحن قبلنا ٢٥ دولاراً للبرميل والآن لولا موقفكم لاستمر البرميل ٢١ دولاراً أو أقل أو أكثر.

لكن عندما تحصل المقاطعة لخمسة ملايين برميل مرة واحدة يحصل الإضطراب. نحن نلتزم بقرار الأوبك ل ٢١ دولاراً للبرميل.. وربما آخرون من التجار سيستفيدون وليس الشعب الأميركي. وحتنا قوية. جزء صغير من العراق بدلاً من أن يحترم العراق الأكبر ومصالحه شجع من

البعض لدور تأمري على إقتصاد العراق ليسحق إقتصاده. فدافعنا عن أنفسنا دون تعرض للأضرار بأي طرف آخر مثل أميركا.

- ولسن: أشعر وكأنني لمست عصياً بذلك، والواقع أن الذي أردت ان أقوله، إنه خلال هذه الأيام العصبية والخطيرة يبدو لي من الضروري جداً أن نبقي الحديث بيننا لتجنب الحوادث وإساءة الحسابات. وهذا الأسلوب هو وحده الذي يجعل هذا الموقف المتوتر والعاطفي أسوأ. لهذا أرحب بهذه الفرصة لنقل هذه الرسالة. أو أن أبدي ملاحظتين ومن ثم أعود للتأكد من النقاط التي أشرتموها.

وسوف أنقل جواب رئيسي إليكم أو إلى السيد الوزير.
في الجزء الأول من رسالتكم . ذكرتم جزء من العراق.

• التعاون مع الكويت:

- صدام: هذا تاريخياً صحيح، وعندما نقول ذلك فلنؤكد بأنه على الكويت أن تتعاون معه وليس أن تتأمر عليه. ولكن عقدتها جعلتها تتأمر عليه.

هذه خصوصية للعلاقة بين العراق والكويت كان يجب أن نتصرف بموجبها وهي لا توجد مع كل الدول الأخرى مثل مصر والسعودية والتي لديها أفضل العلاقات مع العراق.

- ولسن: المهم جداً بالنسبة لي أن أفهم طبيعة العلاقة بالضبط.

- صدام: العلاقة تحددها طبيعة العلاقة بين شعبي البلدين ولا أحدها أنا أو الأميركيان أو السوفيات أو غيرهم. ونرى أنه يجب أن تبني على الأخوة المشتركة والإحترام المتبادل.

- ولسن: وهل هذا ما افتقدته العلاقات مع الكويت؟
- صدام: نعم وخاصة في الأشهر الأخيرة، أركض وراء جابر لكي نؤشر الحدود وهو يقول لا أتركها على الآخرين. ولدينا وثائق على ذلك وكنا نستغرب لماذا يحدث هذا ثم ظهر أنه كان يقوم بدور تأمري.
- ولسن : شكراً. النقطة الثانية تحدثتم عن علاقاتكم الأخوية مع السعودية وتحدثتم عن إتفاقية عدم الإعتداء معها.
- وأنا أود أن أطلعكم على قلق حكومتي إزاء النوايا العراقية الآن. وأشعر أنكم قد أجبتم على ذلك القلق بشكل عام ولكن اسمح لي.
- صدام: ما الذي يطمئنكم لإزالة القلق.
- ولسن: أنا لا أعلم، ولكن سوف أسأل رئيسي، ولكني أعرف أنكم رجل واضح وصريح أن تعطوني تأكيداتكم بأنه في ظل ظروف هذا اليوم الذي نحن فيه، الذي لم يشهد عملاً عسكرياً أميركياً ولا عملاً سعودياً، وتحت هذه الظروف التمس منكم التأكيد بأنه ليس بنيةكم أي عمل عسكري ضد السعودية.
- صدام: تستطيع أن تأخذ التأكيد إلى السعودية وإلى كل إنسان في الشرق الأوسط.
- الذي لا يهاجمنا لا نهاجمه.
- الذي لن يؤذينا لن نؤذيه.
- الذي يريد صداقتنا نحن نتحمس أكثر منه للصدقة . وهذا منهج نحن نحتاجه ليس لفترة زمنية كما يتصور البعض إنما لأسباب إنسانية ولشعبنا.

أما بالنسبة للسعودية فلم يخطر ببالي مثل هذا السؤال فالعلاقة بيننا متينة إلا إذا كان لديكم شيء لا نعرفه.

الملك فهد عندما يزوره جابر وولي العهد الكويتي السابق فمن الطبيعي أن يستقبلهم ولا ننزعج من ذلك. ننزعج فقط إذا ما أعطوا الفرصة لعمل ضد العراق من السعودية.

● بالمناسبة سلم على الرئيس بوش وأن يعتبر جابر والمجموعة التي معه بأنهم انتهوا وأصبحوا جزءاً من التاريخ. عائلة أصبحت تاريخاً. ليس أمراً غير مشروع أن يقلق أحد على مصالحه. نريد أن نفهم تماماً أين هي المصالح المشروعة لأميركا وكيف نطمئننا على مصالحها.

أنا أقول لك هذا الكلام ليس تكتيكاً ليس لأنكم تقاطعوننا. وأنا حرصت أن لا أراك إلا بعد أن تقاطعوننا. وأنا لا أسعى هنا إلى رفع المقاطعة ولا القول بأن العمل الذي حصل يجب أن يرحب به من قبل أميركا.

٣ - أفكار:

- ولسن: أنا سأنقل هذا إلى حكومتي .

جئت هنا بثلاث أفكار في ذهني تعكس قلق حكومتي .

الأولى: طبيعة الغزو. وتعلمون جيداً موقف حكومتي منه.

الثانية: النوايا تجاه السعودية (المستقبلية) وقد أجبتم على ذلك.

الثالثة : تتعلق بسلامة المواطنين الأميركيين وخاصة توفير الفرصة للمواطنين الأميركيين للمغادرة. وكما تعلمون إن الأميركيين حساسون جداً من مسألة أن يمنعوا من المغادرة. وهذا يشمل الأميركيين في الكويت ويرغم الإنسحاب.

- صدام: كيف تقولون إنه لم يحصل انسحاب ثم تقولون شيئاً آخر بعد ذلك.

- ولسن: أنا شاهدت ثلاث قوافل من البصرة وقد أبلغت واشنطن بذلك.

- صدام: أخذت ثلاثة أيام لقواتنا للدخول إلى الكويت وبالنسبة للإنسحاب لا يمكن أن يتم بيوم واحد. وإن انسحاب القوات يعتمد على الجو الدولي ولن نترك الكويت لقمة سائغة لأحد ولو قاتلنا الكون كله.

- ولو ازداد التهديد على الكويت سنضعف القوات هناك. وكلما التهديد كان بحجم معين كلما تغير الحجم. وعندما ينتهي التهديد تنسحب القوات ولا نريد تحويل الكويت إلى لبنان.

واعتقد أن ليس من المصلحة أن ينسحب الجيش العراقي بسرعة ونترك الكويت للأطراف المتصارعة.

الحكومة المؤقتة استلمت نصائح بتشكيل ميليشيات مختلفة ونحن نصحناهم بالإكتفاء بالجيش الشعبي. وما يتعلق بالأميركان الموجودين في الكويت والعراق الآن ممنوع السفر للجميع، عراقيين وأجانب في العراق والكويت. ومصادركم تعلم بأن جيشنا هناك تصرف بمنتهى الانضباط تجاه الأجانب، مع ذلك حسب بيان الحكومة الكويتية التي سمحت لهم بالسفر إلى العراق وهنا الأمن واضح ومؤمن.

- ولسن: هل يمكن أن نسألكم مباشرة. متى ستسمحون للمواطنين الأميركيين المقيمين والزائرين بالمغادرة؟

- صدام: بل متى سنسمح للأجانب عموماً بالمغادرة؟
- ولسن: أنا مسرور للتعميم ولكن لا أسمح لنفسي بالحديث نيابة عن الآخرين.
- صدام: أردت أن أوضح بأن الموضوع لا يشمل الأميركيين فقط. ومن المؤكد أننا سنناقش هذا وبوقت غير طويل، وسوف يكون لديكم علم.
- ولسن: اسمحوا لي أن أحثكم على أن تأتي دراستكم لهذا الأمر عاجلاً وليس آجلاً لأنها مسألة عاطفية حساسة لحكومتنا وشعبنا.
- صدام: نفهم ذلك ونقدره والقضايا الإنسانية مفهومة.
- ولسن: أخيراً أود أن أقول شيئين:
أشركتم إلى حسن تصرف القوات العراقية، وقد تم تأكيد هذا الأمر علي من قبل الوزير ووكيل الوزارة. ويتوفر لدي كل ما يجعلني أوّمن بأن هذا هو طبيعة الأمر لهذا اسمحوا لي أن أجلب انتباه حكومتكم على اعتبار أنها قضية مهمة. ليلة أمس بيت مستشار السفارة الأميركية في الكويت تم اختراقه بواسطة بعض الجنود العراقيين وذلك مغاير للسياسة التي أشركتم إليها، إضافة إلى كونه خرقاً للحصانة الدبلوماسية. ماكنت طرحتم هذا الموضوع لولا أنكم طرحتموه.
- صدام: يوم أمس قابلت أحد ضباطنا، وتحدث لي عن عناصر تقوم بأعمال ضد الأمن في بعض المخازن (أسيوية وسعودية وغيرهم) وعلى أية حال فإذا كان الجيش العراقي قد قام بذلك فسوف نقول ذلك لكم وسنقول لكم إنه كان من خطأنا وأنا سوف نحاسبه لأنه ضد سياستنا.
- ولسن: ملاحظة أخيرة. خلال هذه الأيام العصبية وخاصة حول سلامة مواطنينا الأميركيين.

- صدام: هل تنوون الهجوم علينا ولذلك تريدون إخلاءهم.

- ولسن: كلا وإنما واجبي إعطاؤهم حق المغادرة.

أنا سوف أبقى وأنا أحب الحياة. ولكن أريد القول إنه خلال الأزمة فتحت أمامي كل الأبواب وأمام زملائي في وزارة الخارجية من الساعة ٨:٠٠ وحتى الرابعة صباحاً وأنا أقدر ذلك. وأقدر رغبتكم في أن تلتقوا معي وأن تضعوني بمصير مواطنينا في الكويت.

- صدام: إطمئن عليهم بقدر ما يتعلق بسلطتنا وصلاحياتنا وجيشنا في الكويت.

- ولسن: ولكن أود أن أثنى على الحرفية العالية لعمل وزارة الخارجية. الحوار هو شريان الحياة بالنسبة للدبلوماسيين وكذلك السياسيين.

- صدام أمر طبيعى أنك تثني على زملائك ولكنك لم تثن علي بطلبي لك شخصياً لنقل الرسالة إلى بوش.

- ولسن: آخر مرة قابلت رئيساً في أفريقيا طلبت منه الرجوع إلى كاتب المحضر ووجد ذلك في المحضر. وإذا رجعت للمحضر ترون أنني شكرتكم جداً. (انتهى)

• من فمكم ندينكم:

ومن الشواهد الدامغة على أن الإدارة الأميركية كان تتخطط ومنذ فترة بعيدة لغزو منطقة الخليج عموماً والمملكة العربية السعودية خصوصاً، ما نشر في كتاب (إتجاهات التدخل الأميركي في الثمانينات) لمؤلفه (مايكل كلير) وحسبنا أن نقطف منه ما يلي:

١ - جاء في الصفحة ٥٨ ما يلي: (قال البروفسور "روبرت وزتكر" من جامعة "جون هوبكنز" في مقالة في مجلة "كومنتري كانون الثاني ١٩٧٥": إن العمل العسكري قد يكو ضرورياً لكي يمنع أميركا من أن تنزف حتى الموت من خلال النزف المالي الضخم الناتج عن أسعار النفط الحالية. واقترح (تكر) لمنع المزيد من النزف أن تحتل الولايات المتحدة المنطقة الممتدة من (الكويت نزولاً إلى طول الإقليم الساحلي للعربية السعودية حتى قطر. وتابع يقول: إن هذا الشريط ليس في مراكز سكانية كبيرة، وليست فيه أشجار. وهكذا فإن احتلال القوات الأميركية له لن يتمثل أياً من العوائق التي كانت موجودة في فيتنام.

ولما كانت هذه المنطقة تحمل حوالي ٥٠ ٪ من كل احتياطي أوبيك، فإن سيطرة أميركا عليها ستحطم بنية الأسعار الحالية بتحطيم قلب هذا التجمع الإقتصادي سياسياً واقتصادياً..).

٢ - وجاء في صفحة ٦١ ما يلي: (إن كل بلد عربي . من أي توجه أيديولوجي كان . سيضطر إلى مواجهة إجراء الولايات المتحدة بفرض الحظر على الباقي من واردات النفط ومن خلال الحرب الاقتصادية، بإغراق أسواق النفط في العالم بالبترول دولارات الفائضة وبأعمال عسكرية محتملة ضد ممتلكات أميركا وحلفائها في الأماكن الأخرى. وستتطلب حماية المصالح هذه تعبئة قوات بطريقة لم يشاهد لها مثيل منذ الحرب العالمية الثانية. وقد يتطلب الأمر سحب وحدات الخط الأول من أوروبا واليابان وكوريا وغير ذلك لتلبية الحاجة الفورية للرجال.. وفي مرحلة

ما قد نضطر لاستعمال الأسلحة النووية دفاعاً عن قوة أمامية أو أخرى أو حليف محاصر، ومن ثم نخاطر باندلاع حريق نووي عالمي).

٣- وجاء في صفحة ٩٤ ما يلي: قال السناتور (فرانك تشرش) في النيويورك تايمز عدد ٢ كانون الأول ١٩٧٩ مايلي: (قد تقتضي المصالح الحيوية للولايات المتحدة وغرب أوروبا واليابان، في حقول النفط السعودية عملاً عسكرياً إذا تعرضت مصالحننا للتهديد . فإن تطلب ذلك قوات ضاربة فسيكون هناك تأييد قوي لهذا في الكابيتول هول (الكونجرس).

الخاتمة

في ختام هذا الكتاب، لا يسعنا إلا أن نرفع حمدنا وشكرنا إلى الله جلّت نعمته وعظمت منته، الذي وفق لوضعه وإنجازه.. آمليين أن نكون قد أدينا واجباً، وجلونا موقفاً، وحققنا فائدة ما على صعيد الفقه الحركي، أو الوعي السياسي، اللذين تحتاجهما الساحة الإسلامية في مرحلة يمكن وصفها بأنها الأكثر دقة وخطورة على الصعيد المحلي والإقليمي والعالمي، والله أعلم..

أما بالنسبة لتقويم الأحداث وقراءتها، فإننا نأمل أن نكون قد أصبنا فيما ذهبنا إليه من رؤى وتصورات، ومن تقديرات وتوقعات.. ونحن في كل ذلك لم نكن لنرجم بالغيب . معاذ الله . وإنما كنا نتبع الأحداث ونفككها، ثم نتحقق منها ومن وصفها، محاولين ربط بعضها ببعض لنعاود قراءتها من جديد في ضوء ماتعلمنا من تجارب، وما وقع في العالم من

أحداث، وفي ضوء ما تمارسه الدول وتقوم به الأجهزة الأمنية والعسكرية من أدوار في نطاق لعبة الأمم والشعوب، وللتحكم بمصائر الأمم والشعوب..

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ {ق:٣٧}.

والله من وراء القصد، وهو على كل شيء قدير. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم الفراغ منه في دار عمار، قضاء طرابلس ١ جمادى الأولى ١٤١١ هـ،
١٨ تشرين الثاني ١٩٩٠ م.



فهرس الموضوعات

٢	الإهداء
٣	المقدمة
٥	الفصل الأول :
٥	في تعريف البيريسترويكا
٧	الفصل الثاني :
٧	لماذا البيريسترويكا ؟
١١	لماذا غورباتشوف ؟
١٤	لماذا الانقلاب على الشيوعية ؟
١٤	إرهاصات ما قبل غورباتشوف
١٥	عهد أندروبوف
١٦	عهد تشرنيكو
١٧	الفصل الثالث:
١٨	مشكلات المعسكر الشيوعي كما يصفها غورباتشوف
٢٠	عود الى الوراء

الفصل الرابع :

٢٢

٢٣ عوامل تساقط الشيوعية

٢٣ -العامل الأول : وضعية الفكر الشيوعي

٣٢ -العامل الثاني : نهاية الشيوعية و الدور الأميركي

٣٤ العامل الثالث : نهاية الشيوعية و الدور الصهيوني

٣٨ الشيوعية قرين الصهيونية

الفصل الخامس :

٤٤

٤٤ ماذا تريد الشيوعية من معاناة الشعوب تحت الحكم الشيوعي

٤٨ المعاناة الأمنية

٥٣ المعاناة الإقتصادية

٥٦ المعاناة الإجتماعية

٥٨ المعاناة الفكرية

الفصل السادس :

٦٠

٦١ الشيوعية و الفراغ الروحي أو الخلفية الروحية للبيرسترويك

٦١ التصور عنوان التصرف

٦٢ الإنسان في المنظور الإسلامي

الفصل السابع :

٧١

٧٢

الإسلام ملاذ البشرية جمعاء الإسلام هو البديل

٧٤

خصائص المنهج الإسلامي

٧٩

الفطرية لا التطرف أو المثالية

٨٠

الإطمئنان العقيدي لا القلق الوجودي

٨٢

الإنقلابية الجذرية لا الترقيع

٨٢

الإسلام بين القابلية التطبيقية و النظرية الخيالية

الفصل الثامن :

٧١

٩١

دور العالم الإسلامي حيال الفراغ العقائدي

٩٤

شواهد

الفصل التاسع :

٩٧

٩٧

دور الحركة الإسلامية حيال المتغيرات العالمية

١٠١

مشروع برنامج دعوة الشعوب

١٠٣

الموضوعات الأساسية التي تحتاج إلى طرح

١٠٤

كتب مقترحة في هذا المجال

١٠٥	مقترحات علمية لنشر الدعوة
١٠٧	بيان حزب النهضة الإسلامي
١١٣	الفصل العاشر
١١٣	العلاقة بين البيريسترويكا و أحداث الخليج
١١٦	لماذا الحشد العسكري في المنطقة
١٣٠	التعاون مع الكويت
١٣٥	من فمكم ندينكم
١٣٧	الخاتمة

